على بُعد لقاء

للكاتبة: فرح معروف

بسم اللّه الرحمن الرحيم

تمهيد

لو لم أُجازِف واقتربُ منكَ كُنتُ سأظلُّ بقيَّةَ حياتي أنَّ شيئاً جميلاً قد فاتَني

أنَّكَ أجملُ مُجازفةٍ وانتصارٍ في حياتي

سأحتضنُكَ حتّى وإن كنتَ حُطامٌ

فرح وضاح معروف

قبلَ أن تقرأ...
جميعُ حروفي تنسجُ الكلماتَ لك،
أريدك أن تبتسم ياعزيزي،

{ أنيقٌ أنتَ في كلِّ شيٍ حتى في ابتسامتك}

أمّا قبل...

أَتدري ياعزيزي ما هوَ أبشعُ شعورٍ قد يُشعرَ بهِ المرءُ ؟
أنَّهُ فراقُ شخص يُحبُّهُ كانا مع بعضهُما كالرُّوحِ والجسدِ
يُكملانِ بعضهُما.
كُلّاً منهُما لايُطيقُ حياتَهُ دونَ الآخرَ،
ولكنّ..
تأتي الظُّروفُ اللَّعينةُ وتأخُذَهُ بعيداً، إنّهُ مُؤلمٌ للغايةِ أن تُفكّرَ بشخص طوالَ يومِكَ تشعرُ بالضّيقِ كأنَّكَ تعيشُ في مدينةٍ مهجورةٍ منذُ سنواتٍ تتذكَّرُ لحظاتَكَ الجميلةَ معهُ، صوتَهُ ،ملامحَهُ ، وحتّى تصرُّفاتَهُ ، كطفلٍ ضائعٍ يُعارِكُ حياتَهُ لوحدِهِ
ولكن في نفسِ الوقتِ ضوءُ الأملِ قادمٌ من بعيدٍ فصبرٌ جميلٌ للُقياكَ

أمّا بعد...

استَلقي مُحدّقةً بسقفِ الغُرفةِ
أُبقي هاتفي على مقربةٍ منّي
أتجولُ داخلَهُ كلَّ ثانيةٍ، أكادُ أسمعُ صُراخَ أصابعي:
كفاكَ عَبثاً لقد تعِبنا من التّجوالِ داخلَ رسائِلهُ
ألَم تَضجري؟
أشتاقُكَ ولا أدري إن كانَت كُلّ الأشواقِ تُؤدي إلى لُقياكَ
قد تَرى كلَّ هذا مُجَرَّدُ خُرافاتٍ لا صحةٍ لها
لكن أنتَ لا تعلمُ ماذا يصنعُ الشّوقُ،
الشّوقُ يصنعُ أشياءاً لا يصنعُها أيّ شيءٍ آخر.
كنتُ خائفةً أن أقعَ في حُبّكَ
إلّا أن ضربَتني أمواجَ الشّوقِ إليكَ
وغرَقتُ في بحرِكَ.
أنتَ هُنا في أعماقي، مُقيمٌ في قلبي لا تُغادرني أبداً.
ألقاكَ كُلُّ يومٍ بدعوةٍ في منتصفِ اللّيلِ، لأُطمئِنَ نفسي أنّني أنا الفتاةُ المخلوقَةُ مِن ضلعِكَ.
الخارطةُ خُدعةٌ أنتَ في قلبي.

طبولُ الذاكرةَ

تُقرع...

أتذكرُ جيدًا لقائنا الّذي حصلَ صُدفةً، من خلالِهِ جذبتَ تفكيري و جعلتَني أُفكّرُ بكَ، سأروي ياعزيزي قصّتي كاملةً لكَ،

" أنا الّتي اختارَت القلمَ سحراً تُنيرُ بهِ حروفَها وتُعلِنُ عن حُبِّها لكَ فَتُضاءُ بها الأُفقُ"

بدايةً أعلمُ أنّ التّساؤلاتَ تدورُ في ذهنِكَ كثيراً ،

كيفَ أحببتُكَ بهذا العُمر!

أعلمُ أنّني كنتُ أراكَ كُلَّ يومٍ قبلَ أن أعلقَ في شباكِ حُبِّكَ،

لم أتخيّل أنّني سأحُبُّكَ يوماً ، صراحةً لا أُريدُ أن أكذبَ وأُخبرُكَ أنّكَ لم تكن شيئاً مميّزاً قبلَ أن تطوّرَ أحاديثُنا،

كُنتَ عدوّي، شيءٌ بداخلي جذبَني لكَ لم يكُن حُبّاً بل حياة، جلَّ مافي الأمر كُنتَ مثالي الأعلى،

بالرُّغمِ من رؤيتِكَ كُلَّ يومٍ تقريباً لم أكُن أتخيّلُ أنَّكَ تُراقبُني من بعيدٍ ، لم أكُن أعلمُ أنّني شيئاً مميّزاً لديكَ، كُنا نُلقي السّلامَ ونطمئِنُّ على بعضنا ، و نبتسمُ لا أكثر،

إلى أن أتى ذلكَ اليومُ لم أكُن أعلمُ أنّهُ مميّزٌ إلى أن تعلّقتُ بكَ،

حينها كُنتُ طالبةً في الثّانويةِ، قبلَ نهايةِ الفصلِ الأوّلِ جئتَ متحدثاً لي أوّلُ مرّةٍ أتذكرُ حينَها كِنتُ كئيبةً ومُحبطةً جداً، في ذلكَ المساء جائَني أشعارُ رسالتِكَ الّتي كانَت على هيئةِ شيءٍ لطيفٍ أزاحَ الهمَّ وافرحَني كثيراً، مازلتُ أتذكّرُ جيداً ماذا كانَ فيها،

في ذلكَ الوقت تحدثنا قليلاً وأوصيتَني بأن أهتمَّ بدراستي،

لم أُكن أتخيّلُ عودةَ هذا الزمن،
في ذلكَ الوقت عادَ نشاطيَ الدّراسيّ، واجتهدتُ أكثرَ برغمِ كُلِّ المشاكلِ الّتي أصابتْني حينَها كُنتُ ألجأُ إلى تلكَ الرّسالةَ دائماً وسراً، لم أُخبِر أحداً عنها حتّى الّذين كانُوا مقربينَ منّي كثيراً،
ومَضت تلكَ الأشهرُ بسلامٍ وكنتُ أعلمُ أنّكَ تسألُ عن أخباري وعن دراستي دائماً ، وفي آخرِ مرّةٍ سألتَ عن فرعيَ الجّامعي،
لا أُريدُ أن أروي بعضَ الأحداثِ بتفاصيلِها لأنّي لا أُريدُ الإفصاحَ عنكَ أُريدكَ أن تبقى سرّي، يكفيني أنّكَ حينَ تقرأُ هذهِ الكلماتَ ستعرفُ أنّكَ المقصود،
سأعودُ إليكَ الآن...
بعدَ سؤالِكَ عنّي آخرَ مرةٍ ..صدفةً ألتقيتُ بكَ وتصافحنا وتحادثنا قليلًا،
وأخبرتُكَ عن أحوالي ووضعي، إرتابَني شعورٌ غريبٌ حينها،
فَ ملمسُ يديكَ لايزالُ عالقاً في كفّي إلى الآن وكأنّني نسيتُ من يدكَ أن أُستردَّ يدي،
مَضت خمسةُ أيامٍ بالتّحديدِ، وألتقيتُكَ مرّةً ثانيةً بالجامعة عندما كنتُ عائدةً إلى المنزلِ ،
لم تُصدِّق عينيَّ أنّكَ هُنا وأيِّ صِدفةٍ هذهِ لازلتُ أذكرُ هذهِ التّواريخَ وماذا حدثَ بأدقّ التّفاصيلِ،
تحدثنا قليلاً ورحلَ كلٌّ مِنّا في طريقِهِ ،

مضَت بِضعةُ أيّامٍ وأنا كئيبةٌ، في ذلكَ اليومِ الّذي أُقدِمُهُ الآن، حادثّني مجدداً، من كان يعلم بعدَ هذه الشهور والصُّدفِ الّتي إجتمعنا بها إنّنا سنتحدّثُ مجدداً، أيُّ قلبٍ تملِكُ أنتَ، أيُّ حنانٍ مزرعٌ في قلبِكَ،

بالرُّغمِ من أنّنا نعرِفُ بعضَنا من بعيدٍ لم يَهُن عليكَ أن ترانِي حزينةً، أخبرتَني بأن ألجأَ إليكَ عندَ حُزني، جعلتَ من نفسِكَ صديقاً لي، تحدّثنا كثيراً في بعض الأمورِ، جعلتَني أُفكّرُ بإيجابيةٍ رُغمَ كُلِّ الحُزن،

منذُ ذلكَ الحديثِ وأنا أشعرُ بأنَّ السَّعادةَ تُرافقُني حتّى في حُزني، أشعرُ بوجودَكَ بجانبي بقدرِ بُعدِكَ الآن،

بعدَ مدّةٍ قصيرةٍ حادثُكَ لأخبركَ..

شكراً على دعمِكَ لي إنَّ ما قدمتَهُ لم يكن بقليل

بدأَت أحاديثُنا تطولُ وبدأَ واهتمامُك يظهرُ، أصبحتَ تُبدي أهتماماً للأمورِ الّتي أُحبُّها،

يا اللهي لو أملِكُ شخصاً مِثلَكَ ل بِتُّ أسعدَ فتاةٍ على وجهِ الأرضِ،

بعدَ عدّةِ محادثاتٍ بيننا عِدتُ للكتابةِ،

وكتبتُ من جديدٍ:

رافِئَةٌ جداً فكرةُ إيجادِ شخصٍ يُشبهكَ ، يستثنيكَ من بينِ كُلِّ البشر ، يُخاطِبُ عقلَكَ ، ويُلامسُ قلبَكَ ،

يَستقبلُكَ في نهايةِ يومِكَ الطّويلِ و عينيكَ المتعبتَين بإبتسامةٍ ،

يتوقّفُ ليسمعَ قِصصكَ و أحلامَكَ الهشّةُ ،

يخشى عليكَ من كلمةٍ تُؤذي قلبَكَ ،

يطمئِنُّ عليكَ في وسطِ الزّحامِ تكونُ فكرتَهُ الجميلةُ والوحيدة ،
يُحافِظُ عليكَ بُكلِّ ما أوتيَ من طاقةٍ يخافُ أن ترحلَ عنهُ
لأنَّ رحيلُكَ عنهُ سيخلقُ بِداخلِهِ مَجزرةً قاتلة تُعِدُّ لهُ كلَّ ليلةٍ حَفلةً مِن
الإنطفاءِ وقَلبُهُ الّذي يتولّى عَزفَ الموسيقا وهو الّذي يتوهُ بأوتارِ اللّحنِ ويضيعُ
بِشجنٍ مُؤَبَّدٍ لا مَفرَّ مِنهُ ،
فالحُبُّ لغيرِ أهلِهِ قَتّالٌ.
لا أعلمُ لِما كتبتُ هذا، رُبما كانَ قلبيَ يُخبرُني بأنَّكَ سكينتَهُ،

قرأتَ بعضَ نصوصي وهي:

سألَها: ما الّذي ينقُصَكِ؟

أمسكَت يدهُ و بدأَت تعِدُّ على أصابعِهِ،

الإصبعُ الأوّلُ: لا أحتاجُ غُضناً رافئاً،

فأنتَ هُنا،

الإصبعُ الثّاني: لا أحتاجُ كفّاً تُمسكُ يدي،

كفُّكَ كبيرٌ بما يكفي لأحتواءِ يدايَّ الصّغيرتان،

الإصبعُ الثّالثُ: لا أحتاجُ دعواتاً كُثُر،

فدعواتُك تكفيني،

الإصبعُ الرّابعُ: لا أحتاجُ إلى الذّهابِ للمسرحِ،

فأنتَ تُزيلُ الهمَّ وتُفرحُني،

الإصبعُ الخامس: لا أحتاجُ إلى الدّواءِ،

لديَّ ضحكتكَ وهي تكفيني،

-انتهَت أصابعُ يديَّ يا فتاة، ما الذّي تحتاجينَهُ إذاً؟

ضمَّت يدهُ و أجابَت: أحتاجُ عائلتي في فردٍ واحدٍ،

أتكونُ أنت عائلتي ؟ .

نِصيَ الثّاني كان:

في صراعٍ عمّ يجولُ في عقلي

كنتُ أُحادِثُ نفسي

وأقولُ :

إحترقتُ بسجائِرِ العُمر

فهذا الدّهرُ حِقنةُ وَجعٍ

تتوالى على منحدراتِ قلبي

تُؤجّجُ خطوطَ وقتي خلفَ القُضبان

لا مَفرَّ مِنها تَجزُّني بِمقابرَ آليّةٍ

امقوتُ بعوالِمِ الظّلمةِ

لَيتَني أتخلّصُ مِن شقاوةِ التّعبِ

أستهزيءُ بالماضي اللّعين بعدَ وصولي إلى حُلمي

فمتى يأتي يومي؟!

وأُفرّغُ من وقتي وأعودُ لنومي أترُكُ اللّيلَ

وأكوابَ القهوةِ تُساهرُ جدارَ غُرفتي.

حينها فَرِحتُ كثيراً بردِّكَ على كتاباتي أعدتَ لي الأملَ بالكتابةِ أخبرتُكَ بأمورٍ

لا أحدَ يعلمُ بها غيرُكَ،

شجعتَني كثيراً على المتابعة

أتعلمُ يا عزيزي لم أحصل على هذا الدّعمِ من قبل لن يهتمَّ أحدٌ لإنجازاتي ، عِدتُ للكتابةِ بحماسٍ وها أنا أكتبُ روايةً بفضلِكَ ولكَ، يا ليتَكَ تعلمُ كم أكِنُّ من الحُبِّ بقلبي لكَ

في علمِ النّفسِ يقولون لغةُ الأرواحِ لا تُخطىء فمن تشعُر بهِ يشعُرُ بكَ

وأنا يرتابُني إحساسٌ قويٌّ أنّكَ تشعُر بي وإنَّ في قلبِكَ شيءٌ لي مهما حاولتَ تخبئتَهُ

أتى طيفُكَ في حُلمي قبلَ أن تُحادثَني شعرتُ بشيءٍ غريبٍ حينها أيُعقل بعدَ مدّةٍ قصيرةٍ حادثتَني أيَّ لُغةٍ هذهِ

لكُلِّ إنسانٍ في هذا العالمِ نِصفٌ يُكتَمِلُ بهِ يأتي صُدفةً لا يُخبرُكَ أنّهُ نصفُكَ الثّاني تتوهّجُ معهُ وتتعلّقُ بهِ كثيراً وتخافُ فقدانهُ لتعرِفَ أنّهُ روحُكَ الثّانية من دونِ مقدمات أو تبرير يحدُث كُلُّ شيءٍ صدفةً

أؤمِنُ جداً أن الشّخصَ المناسب لا يُخبرُكَ بأنّهُ مُناسبٌ ولا تُفكّر مجرّدَ تفكيرٍ فيما إذا كانَ مُناسباً، هُنا عقلُكَ وقلبُكَ يتفقانِ بالشّعورِ وبكُلِّ شيءٍ ،

دائماً أخافُ من إحساسي لأنّهُ يُصدّقُه دوماً لأوّلِ مرّةٍ أفرحُ بشدّةٍ بهذا الإحساسِ لهذا ياعزيزي لا تستطيع تخبئةَ شعورَكَ أبداً ..

دائماً كُنتَ تُخبرَني بأنّني قويّةٌ جداً ولستُ بحاجةِ أحدٍ ليسندني جعلتَني أثقُ بنفسي كثيراً أزلتُ غُمامةَ الحُزنِ عن قلبي

وجعلتَني أُشرقُ من جديدٍ

زارَ الهمّامي الدّراسيّ كثيراً شخصٌ يملكُ كُلَّ هذهِ الإنجازاتِ في حياتِهِ وتفوّقهُ في جامعتِهِ والشّيء الذي يُحبُّهُ

جلعلتكَ قدوتي في هذهِ الحياة و أنا أفتخرُ دائماً بوجودكَ جانبي
كُنت البلسمَ الشّافي دعائك الّذي رافقني دوماً كُنت أتوهّجُ من الفرحِ عندما تُخبرَني أنّكَ تدعوا لي
ثِقتُكَ بنفسي جعلتَني أطمحُ أكثر لأكون عندَ حُسنِ ظنّكَ
أعدتني إلى نفسي بعدَ أن كُنتُ ضائعةٌ وربّتني،
أهديتَني بعضُ الأغاني
كأنّكَ رسالةٌ سماويّةٌ لي كأنّكَ ملاذي الذي أسعدني
قلبي الّذي خفقَ لكَ عندما أخبرتني أنّكَ معي ولا تودُّ خسارتي مطلقاً وأنّكَ تفرحُ لفرحي أخبرتني كلاماً لامسَ قلبي
أعلمُ أنّك لم تكن لتقولهُ لو لم يكن في قلبِكَ بعضُ المشاعرِ
لا أحداً يفرحُ لأحدٍ ألّا إذا كانَ يعنيهِ امرُهُ
لا أحداً يُخبرُ أحداً بأنَّ رحيلَهُ سيؤذيهِ
لا أحداً يدعمُ أحداً ويقفُ بجانبِهِ إلاّ إذا كانَ يُحبُّهُ كثيراً
يا عزيزي أفهم كلّ هذا جيداً لو أنكرتَ عنّي حقيقةَ الأمر لا تستطيعُ إنكارهُ بينكَ وبينَ نفسِكَ،
طالت أحاديثُنا كثيراً أيعقلُ أنّكَ نصفي الثّاني وأنا كذلكَ
أخبرتَني مرّةً أنَّ الطّيبونَ للطّيباتِ أُقدّسُ هذهِ الجُملة لأنَّ النّاسَ تلتقي على نواياها
أتعلم يا سكينةَ قلبي أؤمنُ بأنّه ثمّةَ شيءٌ طيّبٌ سيحدثُ لنا في النّهايةِ لسنا بهذا السّوءِ ليحدثَ كلُّ هذا صُدفةً

إنّهُ ترتيبٌ اللهي أنا واثقةٌ بذلك

وكما قالَ الإمام عليّ كرّمَ اللّهُ وجههُ

"أشتدّي يا كُربة لتنفرجي"

جمعتُ محادثاتنا وأهتممتُ بأصغرِ التّفاصيلِ وقدّستُها

لن أُخبرَكَ بشيءٍ حتّى موعدُ اللّقاءِ

في ذلكَ اليومِ الّذي أذكرُهُ جيداً

كنتُ حزينةً وفاقدةً الأملَ فركعتُ لربّي ساجدةً بقلبٍ محروق بأن يُنيرَ طريقي

ويُرشدني وأن تأتيني إشارةٌ الهيةٌ منهُ ،وفي ثاني يومٍ ألتقيتُ بكَ صُدفةً أيعقلُ

بأنَّ اللّه بعظمتِهِ معنا في هذا الطّريقِ لا أستطيعُ أن أصِفَ شُعوري وكميّةُ

السّعادةِ بأنَّ اللّهَ معي دائماً كما أخبرتَني بأنّ اللّه أقربُ إلينا من حبلِ الوريدِ

عندما عُدتُ للمنزلِ كتبتُ لكَ:

مرحباً عزيزي...أخبرني عن أحوالكَ...

أكتبُ لكَ ومقلتايّ تذرفُ الدّموعَ على رحيلِكَ،

مسافةُ لغةٍ بيننا،

دهرُ عهدٍ أصابهُ داءُ النّسيان،

رياحُ الشّوقِ الهائجةِ، لأرقّيءٍ أضلعي بقُربِكَ،

بيننا أصابعٌ مبتورةٌ لشهيدٍ يعزفُ الحُبَّ قسراً عن ألمِهِ،

قدري يجمعُني بكَ دوماً،

فلا مفرَّ لي منكَ ألّا إليكَ،

لقدْ كانت بضعُ ثوانٍ، لكنّها كانت كفيلةٌ بأنْ تُعيدَ كُلُّ الذّكريات،

لوهلةٍ ظننتُ بأنّني قد رأيتُ وجهكَ في أحدِ المارّة،
إلى أنْ أقتربتَ منّي أكثر،
مع كُلِّ خطوةٍ من خطواتِكَ كانَ قلبي يرتجفُ أكثر،
لا تعلمُ كميّةَ السّعادةِ التّي أصابتني حينها،
كعادتِكَ ذو وجهٍ بشوشٍ، وملابسِكَ السّوداءِ المتناسقة،
قرأتُ عيناكَ ورأيتُ شخصاً تاهت بهِ الأقدارُ، تائهاً في مساراتِ الطُّرق لا يعلمُ أينَ يذهبُ ولا أيّ سبيلٍ يسلكُ،
الضّجيجُ يعتلي رأسَكَ، والهدوءُ أصبحَ مُستحيل،
لم يكن لقلبِكَ سعادةٌ وفرحةً يحلمُ بها، وجدتُ بداخلِكَ طفلٌ تائهٌ، وكأنّ همومَ العالمِ بأسرهِ بكَ،
يا ضمادَ قلبي..
أعثرُ على دفءِ الكونِ في جيوبِ معطفِكَ الأسودِ،
أُحيكُ من سوادكَ شُعاعَ أملي وملجأَ روحي لأسكُنَ بينَ ثنايَاكَ كفراشةٍ مبتورةِ الأجنحةِ تضمّدُ جراحَها بهمساتِكَ الخافتة،
ثُمَّ من رحمِ آلامِكَ تُولدُ أجنحةُ الأملِ لي،
سأحتلُّ سوادكَ بأجنحتي الورديّةِ وأعزفُ ألحاني السّماويّةُ على أوتارِكَ النّابلةِ لأُحييها من جديدٍ،
يا قمري بإستطاعتي إضائتَكَ،

سأُحيكُ وشاحاً من خيوطِ الحنان والحبّ وأضعهُ فوقَ كتفيكَ الباردتين، ليطمئنَّ قلبكَ حينها ويغيبُ اللّيلُ الّذي حتمَ عليكَ بسوادِهِ، ولستأكّد بأنّني أُرافقُكَ في دربِكَ في كُلِّ وقتٍ حتّى في غيابي وغروبي، إنَّ روحي حاضرةٌ معكَ،
هيّأتُ ذاكرتي وأتخمتُها بأشياءٍ تُجاريكَ من رقَّةٍ، حتّى خالَ لي أنّني وقعتُ بحُبِّ شابٍّ من طينِ الشَّمس، دفءُ وجوهِهِ أَنساني صقيعَ حياتي،
نحنُ حواءُ ياعزيزي، خُلقنا من الحنانِ يا آدمَ،
فواللّهِ وباللّهِ وتاللّهِ،
إن جئتَني هارباً من أذى دُنياكَ فستجدُ بي لينٌ يُوفيكَ عن دُنياكَ ومافيها، في هذا الحينِ وفي كُلِّ حينٍ تعالَ إليَّ وسأدثِّرُكَ برمشِ عينيّ إنْ عجزتْ يدايّ عن مَنحِكَ كمٍّ يكفيكَ من الدّفءِ
أصبحتَ لي سراجاً يُنيرُ ظُلماتي،
سيزهو قلبي بكَ فرحاً كطفلٍ صغيرٍ نالَ مايُحبُّهُ،
سنشرقُ سويّاً و نمشي حُفاةً مجرّدينَ من السّوادِ والعتمةِ إلى الأبدْ،
لقد كانَ أجملَ لقاءٍ حصلَ صُدفةً،
بُتُّ الآنَ أملِكُ أجنحةً
محبَّتي لكَ

أربعونَ ألفَ سنةٍ من لغةِ الإنسانِ ولا يُمكنني أن أجدَ حرفاً واحداً ليصفَ شعوري لكَ،

كعادتي، أجلسُ طوالَ اللّيل أتأمّلُ صُورَكَ، وأُمعنُ النّظرَ في تفاصيلِ وجهِكَ الّذي سلبَ قلبي،

إنَّ الحُبَّ ما كانَ إلّا وجهَكَ يا عزيزي،

وجنتيكَ الّتي خُلقَت من أوراقِ وردةٍ جوريّةٍ،

لحيتُكَ المصفّفة جيداً وكأنّها بستانٌ من وردِ الأقحوان،

أَلم أُخبركَ أنّ زهرةَ الأقحوان هي المفضلةُ لديّ،

لم أخبر أحداً من قبل بما أُحبُّ وبما أكرهُ لكن أُريدُ أن أخبرَكَ كُلّ شيء يا أقحواني الجميل،

حسناً الآن دعكَ منّي، أُريدُ أن أُكمِلَ الحديثَ عنك....

وأمّا عيناكَ فهي حكايةٌ أُخرى منَ الجمّالِ والحُبّ،

رأيتُ أحلامَ العُمرِ فيهما فنسيتُ ما مرَّ عليَّ من أحزانٍ،

فكانَ بريقُ عينيكَ يُشعرُني بالأمانِ، لأوّلِ مرّةٍ أشعرُ عندما أبصرتُ في صورِكَ عن كثبٍ أنّني عاجزةٌ عن الكلامِ ومخاطبتهم، أشعرُ بأنّني خُلقتُ من جديدٍ وبأنَّ قلبي عادَ للحياةِ مرّةً أُخرى، فأيُّ جمال ذاك الذي أُثِرَ في عينيك البنيتين سأُخبرُكَ سراً قبلَ أن أُكملَ حديثي ..

" عندما ألقاكَ سأحفظُ عددَ رُموشِكَ "

الآنَ دعني أُخبرُكَ عن فرحِكَ الجميلِ الّذي أُقتبسَ جمالهُ من صدفةٍ مُخبّئةٍ في قاعِ البحرِ، أُريدُ أن أُخبرُكَ الآن أنّي أُحبُّ كثيراً البحرَ وأصدافَهُ الجميلة،

وأنّني أُحبُّ كثيراً اللّونَ الأزرقَ هذا اللّونُ يُشعرُني بالسّعادةِ والرّاحةِ، فمن بينِ القلوبِ أُحبُّ القلبَ الأزرقَ سأُخبرُكَ الآن لماذا كُنتُ أُرسلُ إليكَ القلبَ الأزرقَ دائماً،

لأنّهُ صافٍ كَ سماءٍ زرقاء، هادئٌ كَ بحرٍ لا يُعكّرُ سُكونَهُ موجُ نفاقٍ، فهذا القلبُ لايعرفُ إلّا الصّدقَ،

أُريدُ أن أُناديكَ بأزرقي أيضاً،

"أَزرقي الجميل "

قبلَ أن أنسى سأُحدّثُكَ عن شعرِكَ الجميلِ فهوَ مزيجٌ من أشعةِ الشّمسِ وحبّاتِ البُنّ الغامقِ والقليلِ من سوادِ اللّيلِ،

سُبحانَ الّذي خلقَكَ بهذهِ الصّورةِ الجميلةِ وكأنّكَ خُلقتَ من تُرابِ القمرِ،

أخيراً أريدُ أن أُخبرَكَ ...

أنّني سأُحبُّكَ خِفيةً عن الجميعِ وعنكَ أيضاً ..

أُريدُ أن تكونَ حُبّي الأبديّ ..

لقد أصبحَت السّاعةُ الرّابعةُ صباحاً، وأنا أتذكّرُ تفاصيلَكَ،

تآكُلَ رأسي من شدّةِ التّفكيرِ بأنّكَ لستَ موجود،

لقد أدمنتُ صورَكَ،

لماذا يحدثُ هذا دائماً،

وكأنّني مصابةٌ بلعنةِ الفَقد...

هذهِ اللّعنةُ أخذَت روحي مسكناً لها، وجعلَتني أهابُ الأقترابَ من أيّ شيءٍ، فكُلّما اقتربتُ من أحدٍ يختفي فجأةً لسببٍ ما،

مُؤلمةٌ جداً فكرةُ أن يشعرُ الإنسانُ بالأمانِ لوجودِ أحدُهُم بقربِهِ ثمَّ يتلاشى كلُّ شيء،

ربّما لا يجوزُ عليَّ أن أقولَ لعنةُ الفَقد...

هيَ أسوءُ بكثير...

صِراعٌ كبيرٌ يجولُ في عقلي يصادمُ الأفكارَ، والكلماتُ عالقةٌ لكَ السّكينِ في حنجرتي اذْ ما أُنطقُه بحرفٍ واحدٍ تَنقضُّ عليّ لتلهّفَ حنجرتي،

ثمّ جاشَ الدّمُ داخلي وانفجرَ بُركانُ الألمِ، كلّفَت روحي وأنهكتها كثيراً،

أُريدُ فقط أن أصرُخَ لكن لا جدوى،

فجميعُ هذهِ المحاولات بائت بالفشل.

منذُ آخرَ محادثةٍ بيننا وأنا على هذهِ الحالةِ من شهور إلى الآن، وأنا كُلّ يومٍ أزرفُ الدّموع،

كانت روحي وحدَها التي تُريكَ عليها ندوباً كثيرةً،

انظرْ إليّ كم مُلئتُ ندوب،

قضيتُ عمري بأكملِهِ وأنا على حافّةِ الأملِ،

أوزّعُ الحُبَّ على جميعِ الوجوهِ المتعطّشة للعناق،

وأرويها بدفءِ الكلمات،

إلى أنْ أتيتَ أنتَ،

ورقصتَ على معزوفاتِ أحزاني،

أيا يُوسفيَّ الملامحِ، تُغازلُني دوماً وتقول:

أتدرينَ..!

-أنتِ جميلةً جداً تُشبهينَ النّورَ،
وشمسُكِ قدْ زادَت سمائي توهُجاً،
ومكانُكِ بينَ ثنايا فؤادي، ستبقينَ هنا،
إلى أن أرقُدَ في قبري، إلى أن تُنسى قصائدُ نزار،
وتُشفى جراحَ درويش، أهمسُ لكَ كمن يُخبرُ سِرّاً،
-عزيزي، لستُ جميلةً إلى حدِّ ذلكَ المعنى الدَّقيقِ،
جلَّ مافي الأمرِ إنّي بِتُّ أعرفُكَ،
صدّقني معرفتُكَ زادَت ملامحي جمالاً،
وإنَّ حُضنكَ هو الشّيءُ الوحيدُ الذّي يستطيعُ بثوانٍ قليلةٍ إزالةُ تلكَ النّدباتِ الّتي تكتظُّ داخلي،
ومن فرطِ شوقي لكَ،
لا أدري كمْ الشّعورُ الهائلُ الّذي صاحبَني حينَذاكَ،
ولا أدري أيضاً كمْ من الأهوالِ ا قتحمتني،
أشتاقُكَ كُلَّ يومٍ،
بداخلي براكينٌ هائجةٌ تنهمِرُ منها الحُممُ النّاريةُ على هيئةِ دموعٍ تتساقطُ فوقَ وجنتيَّ فتحرِقُهما،
وتزيدُ النّبضَ العنيفَ داخلَ قلبي،
يتمزَّقُ الفُؤادُ رويداً رويداً،
احتضنتُكَ في مخيّلتي، وامتزجَ جسدانا وتشابكَت أضلعُنا مُشكّلانِ لوحةً فائقةَ الجمالِ،
حتّى بِتُّ لا أعرفُ منْ مِنّا أنا،

رسمتُكَ حُلماً جميلاً،
كتبتُكَ في كلّ حروفي ونصوصي،
جعلتُكَ أحدَ أبطالِ الأساطير، تحملُ علبةً من الحُبِّ والفرحِ وتُرشُفُ بها القلوبُ، وتزرعُ البسماتَ، ثمّ تُحارِبُ الخوفَ وبضربةِ يدٍ واحدةٍ تُنهي الحروب،
أيا بطلي،
وتسألني كيفَ أُحبكَ بهذا القدرِ،
وأنا التّي قدّمت كُلَّ تفصيلٍ يخُصُّكَ وحفظتُ كلَّ ملامحِكَ، حتّى أردتُ رسمَ هذا الوجهِ الطّفوليّ على جُدرانِ غُرفتي،
كانَ لحُبِّكَ نكهةُ الموتِ،
فابتلعتُ سمَّ عِشقكَ،
حُبكَ يا عزيزي مرضٌ عُضالٍ لا شفاءَ منهُ،
إن كانَ الموتُ يتقدّمُ بخطواتِهِ لي، فلا مانعَ لديَّ إنْ كنتُ سأعيشُ معكَ يوماً واحداً فقط.
أصبحتُ في كلِّ يومٍ أكتبُ الكثيرَ من الرّسائلِ وأُخبّئُها لكَ، لعلّكَ تأتي في يومٍ من الأيام،
هذهِ إحدى رسائلي...أقرأها بقلبِكَ أرجوك،
في تلكَ الليلة أمضيتُ اللّيل بكاملِهِ وأنا أكتبُ لكَ وقلبي الّذي يتمزّقُ على فراقِكَ ويجوشُ بالكلمات،

-مرحباً عزيزي،
لم نلتقي منذُ مدّةٍ في مُخيلتي،
تعانقَت أرواحَنا سويّةً لم نرى ولم نسمع أحداً،
وكأنّهُ كان العناقَ الأخير،
كأنّنا لن نلتقي البتّة،كأنَّ الزّمانَ توقَّفَ عندَ عناقِنا،
لطالما كان مُضنكَ الأمانُ بالنسبةِ لي ،والملجأُ في لحظاتي الصّعبة،
كنتُ أُعانقُكَ وأبكي من تعبِ قلبي أمّا في بُعدكَ أو من مصاعبِ الحياةِ الّتي قد واجهتني،
سيبقى حنانُكَ محفورٌ في مُخيّلَتي،
لن أنسى ذلكَ يا فقيدي،
إنّها الواحدةُ بعدَ مُنتصفِ اللّيل،
في كُلِّ مرّةٍ أنتظرُ موعدي مع القمر،
لأتأملُهُ واكتبُ لكَ من القصائدِ،
أحقّاً هنا حالي وحالُ قلبي،
ألَم تعدُني بأنّكَ لن تتركني أبداً،
تذكّرتُ وعودَكَ بالبقاءِ، تذكّرتُ عندما أخبرتَني أنّكَ لاتُحبَّ خسارتي مُطلقاً،
والكُتبُ الّتي أخبرتُكَ أنّي سأقرؤها بعدَ مدّةٍ،
وأغانيكَ المفضلة،
وكُلَّ تفصيلٍ يخُصُّكَ،
ها أنا الآنَ أُعانقُ طيفَكَ شوقاً لكَ،

لقد كُنتَ بحراً دخلتُ فيهِ بقاربي الصّغيرِ ،هبّت الرّياحُ والعواصفُ وهنا عرفْتُ أنّني دخلْتُ المكانَ الغيرَ مُناسب في الوقتِ الغيرِ مُناسب،

لقد غرقَ قاربي و غرقْتُ أنا،

ها أنا الآنَ في القاعِ،

سقطَتْ نجومي،

تعثّرتْ أحرُفي،

تلاشَتْ صفحاتُ حياتي،

بَهُتَت سمائي أصبحتْ ذو اللّون النّيليّ الحالِك،

__أليسَ المحبُّ بما يُحبُّ رحيمٌ؟

أنتَ لم ترحم أيَّ جزءٍ منّي،

أنا الآن غارقةٌ ولا أملَ لي بالنجاةِ،

أشتاقُه لكَ ولكن ما باليدِ حيلةٌ،

كنتَ بالنّسبةِ لي العالمَ والكفّتين،

كنتُ أظنُّكَ ستمرُّ حبّاً وتُريحَ المرَّ عنّي،

كُنتَ النّورَ و الدّربَ،

فإنّ التعلُقَ يافقيدي هو أشدُّ أنواعِ الألم حينها ستُصبح حياتَكَ مرهونةً بهذا الشّخص ستحزنُ لحُزنِهِ وتفرحُ لفرحِهِ، وحينما يتخلّى عنكَ ستأذّى أذى لم تذوّقهُ بحياتِكَ، وسوفَ تعيشُ حياتَكَ تائِهاً كما ولو كُنتَ رضيعاً،

في كُلِّ ليلةٍ أذكرُكَ بينَ أُمنياتي، واسمكَ موجودٌ في كلّ سجداتي، أَتدري كم من مرّةٍ أُعانقُكَ في كلّ حالاتي، هذهِ هي أفضلُ ذكرياتي، طيفُكَ هنا هوَ كلُّ شيءٍ بالنسبةِ لي،

لعلّكَ تُدركُ معنى لهيبِ النّيرانِ بالفؤادِ؛ فكيفَ لكَ أن ترحلَ وتخلِفَ الوعدَ الذي قطعتَهُ لي،

" لعلّكُم تدركونَ معنى لهيبِ النّيران؟

فعندما تشتاقُ إلى شخصٍ غيرَ موجودٍ؛ فهو العَجزُ عن لقائِهِ أو التَّحدُثِ إليهِ. "

تحتاجَهُ لأنَّهُ يُسعدكَ ويجعلُكَ سعيداً وتقضي أجملَ أوقاتكَ معهُ، لتكتشفَ بأنَّكَ وصلتَ لأعمقِ درجةٍ بالحُبِّ وغيابَهُ سبّبَ خللاً في توازنِكَ،

تلكَ اللّحظةُ شعرتُ حينَها أنّ روحي تعلّقَت بكَ وقلبُكَ لوّحَ لي بالبقاءِ، ما هو الذّنبُ العظيمُ الّذي ارتكبناهُ لنعيشَ لحظاتَ الوداعِ لناسٍ تعلّقنا بهم، هل مكافئةُ حُبّي لكَ أن تودّعني وكِلانا نرفِضُ البُعدَ والفراقَ، قلبي يحترقُ شوقاً لكَ، كيف لي أن أنسى شخصاً كانَ ملجأي وأماني، كيف لي أن أعتادَ على فراقِ شخصٍ كان بمثابةِ السّندِ لقلبي وروحي،

اهٍ على قلبٍ هواهُ محكمٌ،

اهٍ على روحين تعلّقا ببعضهما وحكمَ القدرُ فراقَهما،

أُريدُ أن أتحدّثَ عنكَ و أن أبدأَ بِكلمةٍ تليقُ بِكَ،

لكِن أظنُّ أنّهُ لا تُوجد أيّ كلمةٍ في كُلّ قواميس الدُّنيا تليقُ بكَ ، أتصد أن تستطيعَ التّعبير عَن جُزءٍ من عظمتك،

هَل أَصِفُكَ بِ ملاكٍ ذي وجهٍ قمريّ استضاءَت بِهِ حَياتي؟

أم أصِفُكَ بِ الغَيثِ أيّ الخَيرِ؟ الغَيثِ الّذي يُبعثُ لِيُردَّ الرُّوحَ لِلخلوِ ؟كَما أَعادَ لِحياتِي رَونَقَها؟

أَم بِالبَلسمِ الشّافي؟ فَ ألا تَدري أنّ لمسةَ يَدكَ تَجعَلُ الفَراشاتَ تُحلّقُ داخِلَ صَدري بِقوّةٍ فَتضارَبُ بِبعضِها و تُولّدُ ذَلكَ الإحساسَ الّذي يَضمّدُ كلَّ نَدبٍ بِداخِلي؟

قُل لِي بِماذا أصِفُك؟ أُقسِمُ باللّهِ أنّ كُلَّ مافي الكَونِ مِن أوصافٍ لَا تُظهِرُ نِصفُ ما تَتحلّى بِهِ،

ف أصبَحتُ أشدُّ أمنِياتِي أن أجَدَ في هَذا العالَمِ أو في العالمِ الخارجيّ ما يستحقّكَ من ألقابٍ، لكنّني أشكُّ بِمقدرَتِي علىٰ تحقيقِ هذهِ الأُمنيةِ،

أدعو اللّه فِي كُلّ أيّامي و لَحظاتِي أن يُرافقَكَ دائماً،

صراحةً تعبتُ من الكذبِ على ضحكاتِي وعيناي وقلبي وأنا أعدُهم كُلَّ يومٍ أنّكَ ستبقى معي إلى الابدِ،

أرجوكَ أعطني جُرعةً منكَ أنا أكادُ أختنق،

أرجوك ساعدني فأنا احتاجُ عيناكَ ولهفتَكَ ذاتها تجاهي، اي لهفتِكَ ذاتَها الّتي غُرِمتُ بها منذُ البدايةِ،

أرجوكَ أنا تعبتُ من فقدانِكَ،

حتّى وسادتي تعبَت فهي تعبَت من معانقةِ دُموعي كلَّ يومٍ وتعبَت من إقناعي أنَّها ملَت سماعَ ذاتِ الشّهقاتِ المملوءةِ بالألمِ والصُّراخ نهايةَ كلِّ ليلةٍ،

تعبَت وسادتي من تكراري لتلكَ القصة تعبَت من ذاتِ النّهايةِ المُؤلِمةِ،

وسادَتي أصابها أرقٌ من نومي لأحلمُ برؤيتِكَ لا شيءَ مُستحيل، دعني أُقابلُكَ لمرةٍ واحدةٍ و لدقيقةٍ واحدة لأنظُرَ لعينكَ و أُشبعُ نظري منها لأُمسِكُ بيدكَ القاسيةِ الّتي كتبَت و رتّبَت موعداً لا تنفيذَ لهُ،

قد حَامتُ بكَ ، أصبحتَ تُرافقُني دائماً في كلّ لحظةٍ وبأيِّ مكان ، في جميعِ الأغاني الّتي أُحبُّها أجِدُكَ، في الظّلامِ أراكَ، في الرّياحِ أشعرُ بكَ فلقد رافقتَني كالظلالِ، و هل ينامُ الحُبُّ ليلاً؟ أم ينامُ اللّيلُ حُبّاً؟

أم أنا واللّيلُ حُبٌّ لا ينام؟

الحُبّ ليسَ بالسّنةِ ، إنّما بالمودّة،

وإنّي أُحبُّكَ لليومِ للغدِّ وللعمرِ الّذي لا يُعدّ،

أتخيلُكَ دائماً ،

"أجلسُ بجانبكَ أشتمُّ رائحتَكَ أسندُ تعبي على كتفيكَ، كلُ شيءٍ آمنٌ هُنا معكَ، أجلسُ صافنةً بتلكَ الأعينُ الجميلةُ يزولُ كلُّ التّعبِ عندما تكونُ بجانبي، لا أريدُ سوى حُضنكَ الدّافئِ لا شيءَ مُطمئنٌ في هذهِ الحياةِ سواكَ أنت، كلُ شيءٍ هنا غيرَ قابلٍ للتأقلُمِ ما زالَ ظلُّكَ مفقودٌ، مُطمئنةٌ جداً فكرةُ أنّكَ موجودٌ في يومي بالكاملِ،

ما كان حُبكَ يوماً عابراً ، ما كان لُقياكَ بي صُدفةً ، كان قدراً جمعنا ونصيبٌ تمنيتُهُ عُمراً،الذي بيننا أكبرُ من قصةٍ قد تطويها الأيامُ بسبب خيبةٍ أو ظروفٍ وما شابه،

بالاً مُمتلئاً بكَ ولايفكّرُ بهجرِكَ بتاتاً لأنّ حياتي دونكَ لافرقَ بينها وبينَ الجحيم،

أشعرُ بكَ بأوردتي وبينَ طيّاتَ الماضي والحاضرِ وأحلامي المرسومةُ معكَ وبكلِّ فنجانِ قهوةٍ أتمناكَ فيهِ معي.

كم أصمتُ أمامَكَ وأصفُ شعوري بالكتابةِ ، عيناكَ تُنسيني ما أنا فيهِ،

دعنا لا نفترقُه لانّكَ وكما أقولُ لكَ دائماً أنتَ أملي الوحيد في هذهِ الدُّنيا

ورجائي الأخير ، لا أمنيات لي في وجودِكَ لأن ثباتَكَ بعمري ياخيرَ مَن مرَّ بعمري نعمة أشكر ِ اللّه عليها مَدى حياتي،خصّصتُك بالدُّعاء كثيراً وقصدتُكَ بُكلِّ ما أكتبُهُ،

ِ من فرطِ حُبي لكَ أحياناً أعجزُ عن التعبيرِ رغمَ أنّني أكتبُ آلافَ النّصوصِ لكَ،

ولكن مُنذُ متى كانت المشاعرُ ِتُكتَبْ والحبُّ يوصفُ؟

مافي القلبِ يبقى في القلبِ لذلكَ لا أخشى الفقد...

شعورُ الأمانِ وأنا مُتكئة على كتفكَ يُعادلُ عُمراً كاملاً من التّعبِ بعيدةً عنك،

ف يوماً ما سنلتقي،

أنتَ قِبلةُ اليقينِ الّتي تتردّدُ إلى أحلامي يوميّاً،وتنثرُ عُطرها بين نومي ويقظتي فتحيطُني بجمالِ أعجيةٍ مستحيلةِ الحلّ،ملقيةً إيّاي بين حبّ الوعي واللاوعي،

يوماً ما سنلتقي،

وستردّدُ شفاهي أنّني وجدتكَ وأنّنا باسمِ خالقِ الحبّ سنبدأُ، ستسكنُ في كلّ زوايا العقلِ والقلبِ بمختلفِ الألقابِ الّتي يمكنُ للمرءِ أن يُحظى بها، سأصطادُ النّجومَ برفقتِكَ وأُناجي القمرَ بخفاءٍ، سأدندنُ تعاويذَ الحبِّ وأنثرُ في الأرضِ ابتساماتِكَ،

يوماً ما سنلتقي،

وستكونُ حينها نجاتي من حديثٍ يأكُلُ ملامحي أمامَ المرآةِ ،وتعانقُه مزاجيّتي
المفرطةُ بكلماتٍ تلفُّ فتاتَ جسدي بوشاحٍ دافئٍ،
يوماً ما سنلتقي،
وحتّى موعدُ هذا اللّقاءِ أعدُكَ أن يبقى قلبي لكَ وحدكَ،
وأن أطلبُكَ دوماً في كلِّ مرّةٍ يُلاقي جبيني الأرضَ.
فماذا أكتبُ بعد؟
وقد انتهتْ الأحرفُ وجفَّ الحبرِ،
ضاقتِ الأماكنُ وانتهى كلُّ شئ،
قلبي أضحى باكياً مشلولاً غيرَ قادرٍ على التّحملِ،
تكاثرتِ الهمّومُ ثقّلتْ الأحزانَ،
ربما ستغفرُ لنا المسافاتَ ونلتقي،
أو ربما ستُنسجُ السّماءَ طريقاً لأراكَ،
يا من أرى طيفهُ بكلِّ الوجوهِ عسى وجهكَ أمامي يلوحُ،
لعلّي أنهضُ في يومٍ من الأيامِ وأرى رسالةٌ منكَ تروي ظمأ قلبي،
أصبحتَ فكرتي الوحيدة، كنتَ تظنُ بأنّ بُعدكَ عنّي سيجعلُني أنسى، كنتَ مُخطأً
يافلذةَ كبدي لم أستطع حينها أن أشرحَ لكَ بأنَّ هذا البُعد سيزيدُني محبّةً وألم،
رحلتَ بعيداً من أجلي، أتعلم برغمِ بُعدكَ أنتَ قريبٌ منّي كثيراً
ربما لم تصدّقه حينها بأنّني أحبكَ فعلاً،
لكنّني أثقُ تماماً عندما تقرأُ ما أكتبُ لكَ ستأكد بأنّي أحبكَ كثيراً لا أعلمِ
كيف، ليسَ مهمٌ كيفَ بل المهمُ يا خيرَ عُمري بأنّي أُحبُّك...

كلَّ شيءٍ منّي يُناجيكَ..
سرحتُ لحظتَها في خيالي وكأنّني أصبحتُ في عالمٍ ثانٍ،
وأنا أُردّدُ:
أظنّهُ سيأتي الآن،
أظنّهُ سيأتي الآن،
"ليالي الهيامُ تطرقُ بابَ قلبي،
بداخلي حلمٌ قدْ ماتَ مشنوقاً، وهوَ ينتظرُ أنْ يتحقّقَ،
بداخلي كلامٌ راكدٌ حتّى تحوّلَ إلى كِتمانٍ يأكلُني،
تفتّتَ إلى أشلاءَ وفاضَ الألمُ داخلي من فرطِ الشّوقِ،
دمّرني الهوى والموتُ احتضنَني،
الآنَ أُلملمُ أشلاءَ روحي المتناثرةَ على أرصفةِ الأشواقِ،
أُريدُ مكالمةً ذاكَ الأنينِ،
حتى مجيئُكَ،
معكَ نزفَت أوردَتي حُبّاً أصابَ قلبي فأُصبتُ بداءِ العشقِ،
وتِهتُ في سماءِ حُبكَ المسجورةِ بالشُّهبِ اللّامعةِ،
بطورُ الكونِ جميعاً عاجزةٌ عن وصفِ شعوري الآن،"
لقد مرّت سبعُ دقائقَ،
لقد أتى،
حاملاً بيدهِ باقةً من أزهارِ الأقحوان، وعلى وجههِ ابتسامةٌ تبرزُ كسرَتي، وأحلامُنا
المدفونةُ على كتفيكَ، فهناكَ استقرَّ قبري وأحلامُ عمري وسعادتي،

جلسَ بجواري على مقعدِ الحديقةِ وحولُنا الأزهارُ في كلّ مكان،

- كيف حالُكَ لما تأخرتَ هكذا؟

اكتفي بالنّظرِ في عينيّ وقال:

- لغةُ العيونِ تُخبرُني بأنّكِ عاشقةٌ،

نظرتُ لهُ بعيونٍ خجلةٍ،

- عيناكِ لم تخلُقَ ليسكنُها الحزنُ، فتفائلي يا قمراً وابتسمي،

- وما حُضنُكَ إلّا مجرّةً دافئةً، قُذني لها فقد أودى بي التّعبُ،

دعني أرقدُ بين زراعيكَ هاربةً من زحامِ الدُّنيا،

دع قلبكَ الحنونَ ملكاً لي بينَ يدي،

انصتي يا عيونَهُ أرجوكِ،

فمنذُ عرفتُكَ نمتِ بداخلي بساتينَ الزّهورِ، وأنّى نيسانُ،

فأهلاً بولادةِ حبِّ العمرِ،

- أترى كم أحبُّكَ يا عمري؟

صحوتُ من غفلتي ورأيتُ حقيقةَ الأمرِ،

أنّهُ لم يأتِ،

كانَ مجرّدُ وهمٍ، حينها أدركتُ مالم يتقبلُهُ قلبي وعقلي،

فأنّ فراقَكَ أشدُّ من عذابِ الموتِ،

شُلّتْ كلُّ حواسي،

أحاولُ مقاومةَ ذاكَ الشعورِ،

أحاولُ مناجاةَ نفسي كي تهدأ،

لكن باتَ واضحاً أن محاولاتي لبعدِ مئةِ عامٍ ستبوءُ بالفشلِ،
مصيري أن أبقى هكذا،
فهل هناكَ أصدقُ من حبٍّ خُلقَ دونَ لقاء،
وبمقولةَ أخرى نسجٌ خياليٌّ،
أصبحَ شوقي لكَ مرضٌ يُحتلُّ كاملَ أنحاءِ جسدي،
وتركزَّ في قلبي الضّعيف الّذي هزّهُ ذاكَ اللّقاءُ الذي نسجتَهُ في خيالي،
لن أستطيع محوَ تلكَ النّدباتَ الصغيرةَ التّي تلعثمت حروفي وأبجديّتي أمامها،
لكن إلى متى؟
لربما سأبقى على هذا الحالِ، أو لربما عندُ عودتِكَ ستُحيا روحي مرّةً ثانية،
الجَوى يقتلُني فلماذا لا تُساعدني في إزالةِ الجيمِ ووضع الهاءِ بدلاً عنها؟
بدموعٍ أشبهُ بدماءٍ سالت من عينيّ، فسلبَت بصري،
فقد ماتَ الأملُ، ذاكَ الذي بكيتَهُ دماً ورثيتَهُ دموعاً لا كلام،
ماتَ لأنَّ الطّريقَ إلى السّعادةِ باتَ مُنقطعاً،
حتّى كلمةُ السّعادةِ أجدُها غيرَ لائقةٍ بنصٍ كهذا، بل هي غير لائقةٍ بحياتي عموماً،
فقلبي يطلبُ منكَ العودةَ بعدَ طولِ المشاوِ،
أنتَ سكينةُ قلبي وشمسُ الدّرب.

لا يقاسُ حبُّنا للآخرين بكثرةِ لقائِهم
فالبعضُ يسكنونَ قلوبَنا رُغمَ قلّةِ اللّقاءِ
أتذكّر مرّةً أخبرتني البُعدُ يُقلّلُ الحُبَّ لكن البُعد والاشتياقَ يُضاعفونَ الحُبَّ اذا كانَ صادقاً
البُعدُ والوقتُ ليسَ حجّةً لتغييرِ أنفُسنا بل العكسُ هو طريقٌ لنُميّزَ بهِ مشاعرنا وحُبّنا وكلُّ شيءٍ على حقيقتِهِ
وأنتَ رُغمَ بُعدكَ لازلتُ أُحبُّكَ ومع كلِّ يومٍ يمُرُّ يتضاعفُ
أنتَ الفكرةُ الّتي تُلازمني دائماً
وهذا لا يُردُّ بانصرامٍ لأن كلّ ما يحدثُ هو ترتيبٌ إلهي وأنا أُؤمنُ بهِ
كلُّ يومٍ يمرُّ بدونكَ أجلسُ وحدي أتذكّرُ تفاصيلَ التّفاصيلِ الّتي عشناها سوياً
تفاصيلَ وجهكَ مع لمعانٍ من القمر
نفحاتُ عبيرٍ تُنعشُ الرّوحَ، ويُغرّدُ الفؤادُ،
أفظُّها تذكّرتُ ما دارَ بيننا بعدَ منتصفِ اللّيلِ من أحاديثٍ عميقةٍ ومؤلمةٍ تُبعدنا عن مسرّاتِ الحياةِ،
كَم مِن كلماتٍ لطيفةٍ لامستْ فؤادي طوالَ اللّيل،
منحتَني أعظمَ شعورٍ في هذا العالمِ بوجودِكَ جانبي،
شعورُ الطّمأنينةِ،
الطمأنينةُ الّتي تُبقيني على يقينٍ تامٍ بأنّكَ أفضلُ ما يمكنُ أن أحصلَ عليهِ،
ما حالُكَ اليوم؟
بعدَ أن قطعتَ حبالَ وصلِنا ومددتَ حبالَ النّوى،

ما حالُكَ بعدَ أن خطفتَ مسرّاتِ ذلكَ الفُؤاد،
تعالَ رُدَّ إليَّ ما هدرتَهُ من دمعٍ بعدَ فُراقِكَ،
رُدَّ إليّ الرّوحَ الّتي هاجرتْ كهجرِكَ،
تعالَ أعيدُكَ مغزلي،
انتظارٌ وانتظارٌ وانتظار..
بعدَ غيابٍ تلظّى في أعماقي وشوقٌ أحرقَ كلَّ نجودي،
بعدَ عشقٍ نسجتُهُ بكلِّ خلايا جسدي،
أُناديكَ يا مُعذبي،
إن كُنتَ تعرفُ كيفَ تُنسجُ الأحلامُ،
تعالَ أُعيدكَ مغزلي،
قد بُتُّ الآنَ رماداً وركاماً،
طبولٌ ضُربَت، وعنْ الفراقِ أُعلِنَتْ،
خيوطي اليوم أنسجُها بدماءْ،
دماءٌ تسيلُ مِنْ قلبي،
ومُن يديّ الملطخةَ بكلِّ شيءٍ إلّا يداكَ،
فباللهِ عليكَ أيُّها الفارسُ الهُمامْ،
إن كُنتَ تعرفُ كيفَ تعيدُ الأحلام،
فتعالَ،
فأنا الآن كسجينةٍ في زنزانتِها شمعةٌ،
لا تفعلُ شيئاً سِوى مُراقبتِها وهي تذوبُ،

حتى يُخيِّمُ الظلامُ وينصرُ النُوم على أملِ رؤيةِ الشّمس، يأتي الغدُ بنورِ شمعةٍ،
أما علمتَ أنَّ الكتمانَ يُحرقُني،
فكيفَ ينامُ الّذي في جوفِهِ نارٌ،
أكتبُ عن الهوى الخانقِ الّذي لفحَ صدري فمالَ،
كادَ قلبي يتمزّقُه مِن الأقدارِ،
عيناي امتلأتْ رقراقاً عندَ ذِكركَ،
وضعتُ دثاري محيطةً داعيةً بأنْ يكونَ كلّ ما يحصلُ كابوساً خبيثاً ، لكّنهُ لمْ يكنْ،
فلنْ تكّفَ الرّوحُ عَن الأحبّةِ فالحبيبُ في الرّوحِ يُقيم،
فقلبي الّذي ينزفُ الكلماتَ على رحيلِكَ سيبقى ينزفُ إلى أن يحنَّ الموعدُ ويأتي
فأضلُعي تكدّست ولهاً وعشقاً،
وأنا الأسيرةُ بقيودِ العشقِ،
تضرّعتُ ساجدةً لقبّةِ الرّحمنِ، أُناجي باسمكَ،
قبّلتُ كتابَ الرّبِّ راجيةً قلبكَ،
زرفتُ دموعَ اللّؤلؤ في غياهبِ عشقكَ المعبّدِ،
تناولتُ علقمَ الشّوقِ، وأنا المريرةُ بتذوقِهِ،
لسعتني حشرةُ الفقدِ،
فبكتْ مقلتي حسرةً تناجي الرّبَّ،
فهل لكَ بسحابةٍ من الغيثِ تهبُّ على قلبي بوجودكَ المحبّبِ يا بهجةَ مُقلتي، فلم
أعُد أُبصرُ شيئاً سِوى التّحدثُ عن عشقِكَ الأزليّ،
فربما سنلتقي وأذهبُ إليكَ لتعلمَ مدى وجعي،

رُبما تتشابكُ الأيادي، وَرُبما تتعافى أرواحُنا،
وتخفّفُ عنّي ثقلَ ما يوجعني،
لا مشاعرَ متبادلةٌ بيننا حتّى الآن لكنّني واقعةٌ في حُبكَ وقلبي الّذي شعرَ بالرّاحةِ
منذُ حديثِنا الأوّل،
هلْ مِنَ المُمكنِ أن أكونَ لوحدي أشعرُ كلَّ هذا أم أنتَ أيضًا؟
لا تسألني كيف أحببتُكَ بكلّ هذا العُمقِ مجدداً،
فأنا الّتي قدّمت كلَّ تفصيلٍ بخصُّكَ،
لم أفهم أن كنتَ شخصاً عاديّاً أمْ على هيئةِ نجمٍ متألّقٍ،
أتدري عزيزي؟
أنَّ النُّجومَ المتألقةُ تكونُ مختلفةً عن النجومِ العاديّة!
رأيتُ الكثيرَ من النجومِ العاديّة لكن لم استطفَ إلّا المتألّق...
"أنّهُ أنتَ"
أخبرتُكَ من قبلٍ أنّكَ مُميزٌ، نجمٌ مضيءٌ، تُضيءُ من حولِكَ مِنْ شدّةِ رقّتِكَ،
لا أعلمُ إن كنتُ سوفَ أقولُ لكَ هذا أم تشعرُ أنتَ بهِ،
جائني وجهُكَ القمريُّ من أرضٍ بعيدةٍ، حدّثني عن الحُبِّ والأمنياتِ، جعلَني
اتوهّجُ مِنَ الحُبِّ، أُقدّسُ نفسي وأحلامي، لم تكن صُدفةً حينَ عثرتُ عليكَ،
جائني ذلكَ الحنونُ،
نعم كُنتَ بذلكَ الوصفِ تماماً،
كنتَ حنونًا ولطيفاً بشكلٍ مُفرطٍ وكأنّكَ تعتذرُ عن كلِّ ما آذاني من قبلكَ،
أعودُ إليكَ بعدَ كلّ تعبٍ كأنّكَ بيتي،

أجدُكَ في لحظاتِ نجاحي وانتصاراتي، في يوم ميلادي، أولَ شخص أُحادثُهُ لأخبرُهُ عن أمرٍ أحزنني،

أتعلمُ يا شقيقَ الرّوحِ،

يُحيلني ذلكَ الحُبّ الذي أحملُهُ لكَ في كلِّ زوايا قلبي،

جعلتَني أنهضُ من جديدٍ عندما ظننتُ أنّها نهايتي،

بيننا شتاءٌ ومطرٌ وياسمينٌ وسهرٌ طويل، بيننا آلافُ السّاعاتِ والثّواني وأطواقَ أقحوانٍ، وسبعُمئةِ عنافٍ مؤجّلٍ والكثير الكثيرَ من الحبّ،

لم تكن أبدًا صُدفةً،

كانت ترتيبٌ إلهي،

ودّعتُكَ منذ يُودّعُ القمرُ آخرَ ساعاتِ اللّيل، على أملِ إنّكَ ستعودُ في يومٍ آخرَ، وهكذا أنا مُنتظرةٌ عودتَكَ لتُنعشَ شرايينَ قلبي من جديدٍ،

كانَ وداعُكَ كجراحةِ قلبٍ دونَ مُخدّرٍ، كيتيمٍ قامَ ببترِ ذراعَ لعبتِهِ المفضلة،

لقد كانَ أشبهَ بخنجرٍ يُفتّتُ هذا الجسد،

فأنا قد متُّ شهيدةَ الحُبّ نقيّةً أُرفرفُ كطيرِ الحمامِ،

فالسّلامُ لروحي إلى أن تعودَ،

انتظرُكَ وكُلّي شوقٌ إليكَ.

يا شمسَ الرّب لقد تهتُ في حُبّكَ

حُبُّكَ الذي أهلكَني لا أستطيعُ التّوقُّفَ عنهُ شيءٌ بداخلي يخبرُني أنّكَ تملكُ مشاعراً صادقةً تجاهي

فبرُغمِ بُعدكَ أشعرُ بوجودَكَ دائماً حولي، وكأنّكَ هالةٌ من الأمانِ تُحيطُ بي وتحرسُني،
أخبرتَني بألّا أحزنَ وألّا أُفكرَ بسلبيّةٍ وأن أدرُسَ جيداً وأن أتفوّقَ وأن أبقى قويّةً وانا أفعلُ جميعَ هذه الأمور لأنّكَ فقط أخبرتَني بها...
أترى كم أُحبُّكَ؟؟؟؟
كيف لي أن أُتابعَ وأنا مهدودةُ القِوى
باتَ النّفسُ يخرجُ بصعوبةٍ ولكن مازالَ بريقُ الأملِ يخرجُ من عيناي وفمي لا تخرجُ منهُ إلاّ كلماتُ الحُبِّ والتّفاؤل ،
كيفَ لكمٍّ هائلٍ من التّناقُض يسكنُ جوفي ويستقرُّ في عقلي
كيفَ لفكرينِ أن يسيطرُوا عليَّ وكيفَ لي أن أكونَ أنا،
ومع ذلكَ لقد وعدتُكَ أن أنتظرَ عودتَكَ
سانتظرُ وانتظر حتى لو كُنتُ أعلمُ أنّني سأعيشُ يوماً واحداً فقط معكَ،
أكتبُ إليكَ هذهِ الرّسالةُ وعيناي فاضَت بالدّموعِ من شدّةِ اشتياقي لكَ غائبي الأحبُّ..
تعالَ أنا في غيابِكَ شبيهُ إنسانٍ لا يشعرُ بشيءٍ، الاشتياقُ مزّقَ أضلُعي وتّعبَ قلبي
غيابُكَ نكثَ عهودي وقلبَ موازينيي رأساً على عقِبٍ غيابُكَ أبكاني ودرفَني بدالَ الدّمعِ دماءاً وبلّلَ دمعي الطّابُ
غيابُكَ أخذني إلى مُدنِ الأحزانِ إلى الأكتئابِ إلى الأنكسارِ إلى الشّقاء.

وهدوءَ قلبي وتراكماتَ الكتمانِ في داخلي لم تسمح لنفسي بالبوحِ وياليتَ
الأوراقَ تتكلّمُ لتقولَ كلمتَها الوحيدةُ وهي الاشتياق،
كتبتُ لكَ الكثيرَ من الكلام،
حضنتُ الكلماتَ، وأشبعتُها حُبّاً
لتأتيكَ بدفءٍ، وتحضنُ يداكَ الباردتان،
وضعتُ القليلَ من قطراتِ المطرِ على النّقاطِ، لِتُوصلَ شوقي إليكَ،
ودستُ عطري بين المفرداتِ، لتُرافقُكَ رائحتي
جفّفتُ وردَتي المفضلةَ، وأرفقتُها بظرفِ الرّسالةِ،
وخبّأتُ الورقةَ في قلبي، لتُصبحَ قريباً منّي حتّى ولو في الخيال،
وانتظرتُ،
ورحتُ أُفكّرُ،
كيف سأوصلُها لكَ يا تُرى؟
وأنتَ بعيداً كلّ البُعدِ عني ؟
بقيتُ أنتظر،
إلى أن حلّ اللّيلُ، ولم تخطرُ على بالي أيّ فكرةٍ،
خرجتُ إلى الشُّرفةِ، نظرتُ للسماءِ، فإذ نجمةٌ وحيدةٌ تلمعُ، وكأنّها تنتظرُ مثلي،
فجأةً ..
فتحتُ عينيَّ ..
سوادٌ قاتمٌ يُخيّم ..
وهدوءٌ عارمٌ يسيطر ..

فوجدتُ نفسي في فراشي،
وكفَّايَ تملؤهما الدّموع ..
والوردة بجانبي لم تجفّ بعد ..
وصندوقٌ خشبيّ موضوعٌ بجانبي،
مليئٌ بالرّسائلِ الورقيّة الّتي كتبتُها لكَ،
ولم أُقدِم بإرسالِها،
فتذكّرتُ أنّنا قد افترقنا،
وفي اللّيلةِ الماضيةِ كان قد راودَني طيفُكَ،
فبكيتُ كثيراً، وهربتُ إلى النّومِ من صوتِكَ الّذي كانَ يغزو رأسي، ومن خيالِكَ الذي باتَ يُرافقُني،
-عالقةٌ كما لو أنّني فِكرةٌ تخجلُ الخُروجَ، خائفةً كما لو أنّني ظِلٌّ يُطلُّ من بعيدٍ إلى نفسِهِ، خائفةٌ من الذّهابِ للنّومِ حتّى لا أحلُم بأفكاري،
تأتيني الكوابيسُ في بدايةِ اللّيلِ إلى مُنتصفِهِ و تأخذُ يقظتي من حلمي الجميلِ إلى حُكمِ إعدامي، كَتبتُ في إحدى اللّيالي الباردةِ أنّني فتاةٌ لا تعرفُ كيف تنامُ أو كيف تتحدّثُ عن هذا الشُّعورِ الذّهابِ إلى عالمٍ آخرَ،
عندما أذهبُ إلى سريري أجِد بِه وحوشاً تريد أن تأكُلني ليست حقيقيةٌ ولكن هذا شعوري الداخليّ، أجلسُ في سريري وأنا أناظرُ اليمينَ والشّمالَ، الحياةُ تسرقُه النّومُ والحُبّ والأشياءُ الجميلةُ تُحافظُنا بالتّعبِ ونزيفِ القلبِ، نتحمّلُ فوقَه طاقتِنا ونحسُ أنّنا بخيرٍ نعيشُ أسوأَ حياتَنا خلفَ الجدارِ تحتَ أغطيتِنا، هذهِ الكوابيسُ أضاعَت ملامحيّ كـ طفلٍ على بابِ المشيبِ وقفتُ لوحديّ ليس لدّي

مكانٌ خاصٌّ بالبكاءِ كنتُ عندما أذهبُ إلى سريري أُمسك وسادتي وأبكي بصوتٍ منخفض، الحياةُ لا تمنحُني الفُرص،
ولكن سنلتَقي يوماً مَا..
سأكونُ عاجزةً عن وصفِ هذهِ اللّحظةِ، لن أنسى أُغنيّتَنا المفضلةَ لن أنسى وعُودَنا لن أنسى رحيلَكَ،
أنا هُنا و الآن أنظرُ إلى وجهِكَ إلى ملامحِكَ،
لن أنساكَ للحظةٍ أنتَ تعيشُ معي كلّ ثانيةٍ..
أنتَ بداخليّ أكثرَ منّي، أنا أُحبُّكَ جداً و أشتاقُه إليكَ..
وجودَكَ يُضاهي قلبيّ و يُزهرُ روحي، و غيابُكَ دمَّرَ كيانيّ و شغفيّ و أحلاميّ لقدّ كسرَني حقّاً..
أشتاقُه إليكَ يا راحتي
فقلبي ينزفُ شوقاً إليكَ،
أُحبُّكَ يانعيمَ القلبِ في بُعدكَ وقُربِكَ،
ولنْ يكونَ هناكَ شيءٌ طاهرٌ في قلبي سواكَ،
كانَ لحُبِّكَ نكهةُ الموتِ،
وتلكَ الزّهورُ الّتي كانت تُحيا عندَ حديثكَ معي،
فهي الآنَ ذابلةٌ ومشتاقة،
تريدُ أنْ تُعيدَ الحياةَ لها قبلَ أنْ تفقُدَ شذّاها وتموتَ للأبدْ،
مازالتْ زهورُكَ وأنا في إنتظارِكَ،
كِلانا يُحاربُ الذّبولَ والألم،

فهي ظمأتْ كثيراً وتريدُ أنْ تُروى بماءِ حُبّكَ،
وأنا أُريدُ الأرتواءْ أيضاً،
يا حبيباً لِقلبي والحاءُ إنْ قُلبتْ طاء لنْ أحتاجَ دواءً في عمري،
"فأنتَ دوائي"
أُحبُّكَ في اليومِ ألفَ مرّةً ،
فقدْ باتَ حُبكَ مُنتشراً في قلبي و أوردَتي كَسرطانٍ مُزمن،
أتمنّى لو كانَ بِوسعي المكوثُ بين ذراعَيكَ للأبدْ،
لِتستوعِبَ الآمانْ الّذيْ يجتاحُني بِقُربِكَ،
يهزُّني الحنينُ لكَ دوماً،
لا أريدُ أنْ تُسرفَ كثيراً في كلماتِكَ،
فقط كنْ حنوناً وهذا يكفيني،
فأنّي في أمسّ الحاجةِ إليكَ،
يا سكينةَ قلبي ، يا كلَّ كُلّي،
أنا الّتي عشقتْكَ وأتمنّى في كلِّ لحظةٍ رؤياكَ،
عجباً لِعينيكَ،
تِقتُ شوقاً لها،
تركيزٌ واحدٌ في ملامحِكَ كلّفني كلَّ هذا السُّرورِ في حياتي،
أنتَ عُمري ووجهَتي،
أنتَ خارطتي نحوَ النّورِ بدونَك تعمُّ الظّلمةُ عالمي،
فمن بينِ جميعِ خسائري،

كُنتَ إعصاراً جميلاً،
كفكرةِ نجاةٍ مِنَ هذا الجحيمِ،
ما يُميِّزُكَ حقّاً هو شعورُ الحُبّ،
الذي تَمنحُهُ لكلِّ الأشياءِ الّتي حولَكَ،
أُريدُ أن أُخبرُكَ أنّكَ منزلي الصّغيرِ الدافئ،
فجأةً صوّت عميقٌ أتاني لا أعلمُ من أين ؟
أترى من ذاكرتي ؟ أو من الأفكارِ الّتي حولي
يقولُ لي أصبرِ
وهنا يعودُ الأملُ مجدداً
لم أُحبَّ أحداً هكذا بهذهِ الطّريقةِ
بلغتُ من الحُبِّ معكَ ما يفوقُه الخيال
تأتيني الأيامُ بكَ تنثرُكَ حولي في الطُّرقاتِ
تسمعُني إيّاكَ في إيقاعٍ موسيقيّ
أقرأُكَ في عناوينِ الكُتُبِ وبينَ أوراقٍ شعريّةٍ
إنّكَ هُنا بجانبي
أتعلمُ ياعزيزي كيفَ كان مجيئُكَ بالنّسبةِ إليّ؟
أشبهُ بأوّلِ حبّةِ مطرٍ تهطلُ على أرضٍ قاحلةٍ بعدما أهلكَها الجفافُ
كصرخةِ الطّفلِ الأوّلِ لأهلِهِ بعدَ انقطاعِ عدّةِ سنواتٍ،
هل يُمكنُكَ تخيّل مُتعةً في هذهِ الحياةِ أكبرَ من الاستيقاظِ والإطّلاعِ على ساعةِ
معصمِكَ وترى بأنّ مازالَ بإمكانِكَ النّومُ لوقتٍ أطول،

ك شمسِ الشّتاءِ بدفئِها وجاذبيتِها و سحرِها في الأيامِ الباردةِ،
ك لمسةِ يدِ طفلٍ مازالَ عُمرُهُ ساعات،
ك فرحةِ إثنينِ جمعُهما النّصيبُ بعد مابرحَ بهما الشّوقُ،
ك استجابةِ لدعوةِ عبدٍ بعدما كانَ يُلِحُّ بالدُّعاءِ في الصّباحِ والمساء،
ك اهتمامِ الحُبِّ في البدايات،
أمّا بعد ف مجيئُكَ كان مجيءَ السّلامِ لقلبي ثمَّ لروحي،
هكذا كانَ مجيئُك بالنّسبةِ إليّ ياعزيزي،
وبرُغمِ كلّ الخَرابِ الذي كانَ بِقلبي،
إلّا أنّك دَخلتَه وَأنتَ تَعلَمُ كم سَتتعبُ مِنه وَلأَجلِه، وَبالرُّغمِ مِن ذلكَ جَعلتَ مِن قَلبي المُهترء مَملكتَكَ وَتربّعتَ على عرشِكَ الذي شيَّدتَهُ بِحبكَ فيه، جئتَني بِحنانٍ لَم وَ لَن أقوى علىٰ وَصفِهِ بِكلماتٍ، فكُنتُ مبعثرةً رَتبتَني، وبائسة فأَسعدتَني، وَ وجدتَني باكيةً فأضحكتَني، والآن إنّني أَعدُكَ أنّني سَأَعتني بِقلبي لِأجلكَ، دعني أتمعَّنُ تفاصيلَ وجهكَ، دعني انظرُ لعيناكَ، لأسرقُه فرحتي من تفاصيلَكَ، وأنتَ بالمثلِ أنظر إلى تفاصيلِ وجهي، إنّك بينها لمعةَ عيناي، أنتَ داخلَ شرايينِ قلبي، ضع يمناكَ على قلبي واسمع اسمكَ من دقاتِ قلبي، إنّكَ هناكَ تمكثُ في أعمقُ منطقةٍ من قلبي، ثغرُكَ وكأنَّهُ قيثارةٌ، أسمعُ أحاديثكَ بشوقٍ كبيرٍ كأنّها معزوفةٌ قديمةٌ في قصرٍ قديم، لا أحداً سوا تلكَ المعزوفةُ ولا لأذُني أن تسمعَ سِواها، سأسرقُه من عيناكَ عشقاً ليطيلَ بعمري آلافَ السّنين، عندما أسمعُ صوتكَ يكبرُ حبُّكَ بجوفي سنة، خُذني إلى قصرِ الغرامِ، ودعني أحلفُ لكَ على كتابِ الهوى بأنَّ واللّهِ وبقدسيةِ حبي لكَ، لن تأتي فتاةٌ على حياتِكَ لتُحبُّكَ حُبّي،

في فدا حُبّكَ لأنسجُ من عينايّ معطفاً من الحُبّ، ومن أوردَتي صندوقاً اضعُ بهِ حُزنكَ وآلامكَ،

أتذكرُ مرّةً كانَ يوجدُ شيءٌ مميّزٌ لديّ ولديكَ فكتبتُ لكَ هذه:

يامن علّمني الصّبرَ،

وانتشلني من حزني،

وأتاني في كسرتي،

يامن أعادَ الحياةَ لقلبي،

تستحقُ أن يتخلّدَ اسمكَ يا أعظمَ مُعلّم،

فَنيتُ حروفي من بعدكَ،

أنتَ مُهجتي والميمُ باء،

ترنو بينَ طيّاتِ الورودِ مُختبئ،

فأقولُ : أينَ هو ؟

فتظهرُ الشّمسُ لحظتُها،

أيا ظلّاً أتبعُهُ ويا حبراً أكتبُهُ،

أيا حبيبَ الرّوحِ والأقربُ لِقلبي فكيفَ لي أنْ تَمُرَ لحظةً ولا أُفكّرُ بكَ فَرسالةٌ واحدةٌ كفيلةٌ أنْ تُغيّرَ مزاجي، أتوردُ برسائِلكَ إذاً كيفَ سيكونُ اللّقاءُ؟..

أنتظرُ لقاءَنا بِفارغِ الصّبرِ، كأنّكَ مدينةُ وردٍ في أعماقِ قلبي، فَفي كلّ يومٍ أتخيّلُ سرابُ طيفَكَ أمامَ عيناي فَلنا لقاءٌ في مُخيّلَتي قبلَ أنْ أنام،

عسى أن يتحوّلَ هذا اللّقاءَ إلى حقيقةٍ،

أتيتَ على هوى فتاةٍ صعبةٍ،

فتاةٌ لا تُؤمنُ بالحُبّ فآمنتُ بكَ،
تعالَ أنثرْ عطرَكَ جوارِي..
تعالَ مزّقْ الحدودَ بيننا..
تعالَ أنطقْ حروفَكَ الّتي تُحيينِي..
تعالَ لعلَّ قلبِي يُزهِرُ...
تعالَ لعلّي أنجو من أفكارِي..
كفاكَ تجوّلاً في مُخيلتي إقتربْ،
لكنّي أشعرُ بنشوةِ الحُبِّ، وخفّتهُ،
كأنّكَ أرقُّ من نسمةٍ،
نويتُ أن أكونَ حُبّكَ الأخير،
مهما طالَ الزّمن،
في سنةٍ، أو حتّى في مئةِ عام،
ولو أضعتَني،
لا تُضيّعني، طاردني..
ستجدني عندَ ليلٍ ما،
تحتَ سماءٍ ما، أكتبُ ما يُمليهِ عليّ فُؤادي،
"فأنّي مَريضةٌ من الهوى ألّا تأتي وتُداويني؟
فأنّي لا أُريدكَ أن تَبعُد عنّي مُجدداً وتُجافيني،
فـ واللّهِ وجودُكَ جانبي لطالما كانَ يُواسيني،"

لو كتبتُ لكَ آلافَ الكلماتِ النّصوصِ والرّواياتِ لن يعبّروا عن مشاعري وعن لهفتي تجاهَكَ

أتذكُر ياعزيزي عندما أحببتُ هذا النّص لي كتبتُهُ لكَ وأنتَ لا تعلمُ :

ما رأيُكَ..

أن تُخفّفَ رجفانَ روحي بأمانٍ قُربَكَ،

وكما قيل :للأبد،

تطايرُ فراشاتُ الحُبِّ وتحومُ حولَنا،وتحملُ رحيقاً من حُبّكَ وتُلقيهِ في قلبي،

أراكَ في كلِّ وجوهِ عابري الطّريقِ،

ثمَّ في مساءٍ ما ألقاكَ مرسوماً في غلافِ روايةٍ،واسمعُ صوتَكَ في لحنٍ موسيقيٍّ قديم،

قَلمي يَشدُّني للكِتابةِ والورقةُ تَوهَّجُ بغُرفَتي المظلمة،

تَصادمُنا مُؤخراً لا أعلمُ ما بداخلكَ!؟

لكنّني أجدُتُ قراءةَ عينيكَ،عينيكَ الّتي تركت أثراً عميقاً بداخلي،

أوردتي مملوءةٌ بحُبك،

أُريدُ أن نجولَ جميعَ محطاتِ العشقِ سوياً.

كيف لهذهِ المحادثاتِ الّطيفةِ أن تخلُقَ كمَّ هائِلاً من المشاعر

أيعقلُ كُنا نتعانقُ بين النّصوصِ أو تحتَ الكلماتِ...

لا لربما لم يكن عناقاً بل كأنّكَ تغرِسُني بينَ ضُلوعِكَ كأنّكَ تمنحُني كلَّ مابقيَ منكَ طامعاً في كلِّ مابقيَ منّي

لنكونَ معاً كلَّ مابقيَ في هذا العام

أُريدُ شكركَ لأنّكَ تجعلُني أنسى الحُزن ولا أكفُّ عن الضّحك معكَ شكراً للسّعادةِ الّتي أهديتَني أيّاها

يقولُ محمود درويش ..

وكيفَ تعرفُ من يُحبُّك ؟

سترى في عينيهِ بأنّكَ جميلٌ، أجملُ ممّا ترى أنتَ نفسكَ

أظنُّ الآنَ أنّكَ تعلمُ كلَّ شيءٍ أصبحَ كلُّ شيءٍ واضحاً كنورِ الشّمسِ

أثرُ الحبّةِ الّتي عاملتَني بها استلّتني

أُؤمنُ جداً بالارتباطِ الرّوحيّ بأنّ نغزةَ القلبِ المفاجأةِ تعني أنّهُ حتماً حصلَ شيءٌ

وأنّ الأرواحَ تتخاطرُ رغمَ وجودِ المسافاتِ

أتعلمُ ياعزيزي الحُبُّ هو أنّ لا أَعزلُكَ عن العالمِ الحُبُّ هو أن أتركك بالزّحامِ

وأعلمُ تماماً أن قلبكَ لي

لا أعلمُ لما أثقُ بكَ لهذهِ الدّرجةِ

فواللّهِ أنّكَ الشّخصُ الوحيدُ الّذي أثقُ بهِ لهذا الحدِّ أرجوكَ لا تُخيّبَ ظنّي

لا يهمُني البُعدُ وهذهِ المسافاتُ ابداً لا تَعنيني الظُّروفُ لا يعنيني صعوباتُ

الحياةِ أُريدُ أن أكونَ معكَ فقط في فرحِكَ وحزنِكَ وكلَّ شيءٍ

سيكونُ لنا بيتَنا الخاصُّ سيكونُ صغيراً ودافئاً نملؤُهُ بالحُبِّ والمودّةِ وإن تشاجرنا

نتصالحُ ..

بإنتظارِ خطوةٍ منكَ مُدَّ يدكَ لأُمسِكها قُل شيئاً لعلَّكَ تكسرُ سبعينَ ألفَ حاجزٍ

سأبقى يتيمةً حتّى عودتِكَ

أدعو اللّه دائماً بأن تعودَ بخيرٍ وأن يجمعُني بكَ وإلا يصيبُكَ حزنٌ أبداً

لا تتخلّى عن حُلمِكَ بسببِ الوقتِ الّذي يحتاجُهُ لتُحقّقهُ لا تُبعد بيننا وتتمزّقُه من شدّةِ الفُراقِ فالوقتُ سيمضي ياعزيزي على أيّةِ حالٍ ...

بالرُّغمِ من هذا مازلتُ أفتقدُكَ..

أفتقدُكَ هذا الصّباح..

وأعلمُ أنّكَ اليوم،

أبعدُ عنّي من الأمسِ،

-أفتقدُكَ...

مع صوتِ فيروزِ الرّنانِ صباحاً

افتقدُ كلمةَ (صباحِ الخيرِ) منكَ

لقد مرَّ طيفُكَ مُشعلاً نارَ الشّوقِ في قلبي

أُناديكَ بكلِّ جوارحي تعالَ،

-أفتقدُ...

مشاركتَكَ كُتبي، والأغاني والرّسائِلِ،

كتبتُكَ في نصوصي علَّ قلبكَ يقرأُ فيحنُّ لأيامنا سويّاً،

فحينَما يحلُّ الغسقَ كلَّ يومٍ و تختفي شمسُ النّهارِ،

أجمعُ شتاتَ ذكرياتي معكَ وأجلِسُ وحيدةً مع أغنيتَنا المفضلةُ

أتذكرُ جيداً عندما أهديتَني هذهِ الأُغنيةُ إرتابَني شعورٌ غريبٌ أظنُّ أنَّها

كانت تلميحاً ليست بمجرّدِ أُغنيةٍ عاديّةٍ ...

أعلمُ بحقيقةِ مشاعرِكَ لم تكُن محادثاتاً عاديّةً..

فأصبحتُ أحبُّكَ وأحبُّها ...

لقد طالَ إنتظاري للقُياكَ كثيراً ومازلتُ أُؤمنُ أنَّ لنا في الأرضِ لقاءٌ،
تركتُ الوقتَ جانباً وأطلتُ النّظرَ في عيناكَ الّتي وجدتُ بهما الأمانَ،
وأناملُكَ الّتي عزفَت لحنَ وصلَتنا على أوتارِ الحُبّ...
مازلتُ بانتظارِ تلكَ السّاعةِ الّتي تجمعُنا مرّةً أُخرى لأُعبّرَ عن الحُبّ الّذي
وضعتَهُ بخافقي،
في ليليَ الهادئِ وَ سمائي الظّلماءُ، أنتَ قَمري!
يا قَمراً عشقتُ صمتَهُ وسكونَهُ علّى الرَغمِ من عذابِ الشّوقِ لمحادثتِه،
أَ يطولُ البُعد؟
أَ يطولُ العَذاب؟
أحبيتُكَ ولا أعلمُ ما أحببتُ بكَ، عَلى الرُّغمِ من أنّكَ لم تقتربْ مِني قَط،
وسأُحبُّكَ حتّى و إن طَالَ الصّمتُ يكفيني رُؤياكَ،
أحبُّكَ أذا سأفعلُ آلافَ الأمورِ لأجلكَ سأسهرُ معكَ يوماً كاملاً فقط لكي
أُخبرُكَ كم أنّكَ شخصٌ مميّزٌ ورائع، أو لكي أُطمئنّكَ في يومٍ تحتاجُ فيهِ إلى
الأمانِ، سأذهبُ معكَ في مشوارٍ مهمٍّ لكَ حتّى وإن كنتُ مريضةً فقط لكي
أكونَ معكَ في أهمّ لحظاتِ حياتِكَ، وفي المقابلِ لا أُريدُ شيئاً سِوى أنّني لا
أندمُ على إختياري لكَ في يومٍ ما،
فلهفَتي تجاهكَ وَ مَا الَّذِي يُقَالُ بِ حَقِّها ، أَنْ تَكُونَ بَعِيداً عَمَّنْ تُحِبُّ لِ
سَنواتٍ عديدةٍ ، ثُمَّ يأتيكَ ذلِكَ الشُّعور الذِي وكأنَّهُ يُحضرُ أحدُهُم عُرْسٌ
على جَوفِ قَلْبِكَ بِضَرباتٍ عنيفةٍ و كأنَّها بنجٌ لا يزولُ تأثيرهُ إلّا بعدَ مُدَّة ،

ثمّ تلكَ الرَّجفة في اليدين، ولكنَّني أتلهّفُ شوقاً و حنيناً لِ تلكَ اللّحظة الّتي ألقاكَ فيها لِ يُحدِثَ ضَوضَاءاً في قلبي و يعمُّ السُّرورَ في روحي ، و تعودَ ابتسامتي إلى فمي،

فأنّني مُتيّمةٌ بِوجهِكَ،

عِندَما بَدأَت عَيناي تَغرقُ في تَفاصِيلِ وَجهِكَ بِعمقٍ كَبيرٍ دونَ أن أعي، باتَت تَجذُبني عَينانِ آسِرتان تَحملانِ لَمعاناً خَفيفاً كَالنُّجوم سُرعانَ ما يَخطفُ قَلبي،

شُغِفتُ بِبَسمةٍ مَلائكيّةٍ حَفظتُ كَيفَ تَرتَسِم رُويداً رُويداً عَلى وَجهٍ قَمريّ، أرقُّ ما يَحمِلهُ وَجهكَ أذكرهُ،

لَقد استَوطَن عَقلِي و احتلّه كَمحتَلّ يَجتاحُ أرضاً يُريدُها لا يأبهُ لِمن يملُكها و يَكتَسحُ بِقاعَها دونَ استِئذان، لكن هذا الاحتلالُ مُخالِفٌ لأيّ احتِلالٍ مُوجودٍ في الدُّنيا، فَقد جَعلَني جَذلةً مَسرورةً أكثَر مِن أي مَخلوقٍ يَتواجَدُ في هَذا العَالِم الشّاسِع،

لقد أتيتَ مُختلفاً عن الجميعِ لن تحتاجَ إلى شيءٍ لإبهاري, كان يكفي أن تكُن كما أنت.

أعرفُ أنّكَ مُنهكٌ

وإنّي لئيمةٌ أحياناً

وعادتي هيَ الأنانيةُ فيكَ

ولكن تحمّل معي إنّها عمليةٌ أخيرةٌ

لشخصٍ مفقودِ الأملِ فيهِ
أنتَ، محاولتي الأخيرة
ولا شيءَ بعدكَ قد يُشفيني
فيوماً ما سَنلتقي حتماً
كما يليقُ بنا أنْ نلتقي كنهايةِ تشرينَ وبدايةِ كانونِ الأوَّل
كنزولِ المطرِ على الأشجارِ بخفَّةٍ
أليسَ هذا جميلاً؟
نُهدي بعضَنا الأسرارَ فوقَ السَّحابِ
نأخذُ من بعضنا كلاماً لا يُنسى في ليلةٍ قرمزيَّةٍ مشبعةٍ بضوءِ القمرِ الَّذي
يُضيءُ لنا وجهينا !!!
أنتَ وأنا فَقط ننسى العالم
وننسى من نحنُ
لكن .....
إيَّاكَ أنْ ننسى بَعضنا
أترونَ عاشِقُوا التَّفاصيلِ ؟!
قد أبحَرنا في تلكَ المجرَّةِ
تجاوَزنا كلَّ شواطئِ الفَضاءِ في حُبِّها
على جدارِ الحياةِ رسمنا سبيلاً للحُلم أزرَقاً
لكَ عامٌ منَ الجبروتِ أيُّها الأَمل

أهديتَني أغنيةً بتلك اللّيلةِ فهل لي أنْ أُهديكَ كُلّي ؟
و عَن مُهجَتي الّتي أصبحت مَفتونةً بِشدّةٍ بِهِ،
طالَ غيابُكَ عنّي فهلْ لي بِسؤالكَ كيف الحالُ ؟
فتعالَ لِي واجمَعْ شتاتَ رُوحي الّذي بعثَرها غِيابُكَ، تعالَ وبدِّل فَصلَ الشّوقِ بفُصولِ الحُبّ والعِشقِ، اعلَمْ بِحالِي فَلا حَالَ بِبُعدِكَ أيُّها الغَالي،
ناديتُكَ يا فاتنَ العينينِ بصمتٍ أبكى
ناديتُ عينيكَ بعينيَّ ونظراتَها لفتتْ كُلّ الأسماعِ
قُلْ لي أينَ ينتهي الفراقُ حتّى أنتظرُكَ هناكَ
فأنا غارقةٌ بحرِ حُبكَ فهيّا
غيابُكَ عنّي يُزدني حُبّاً بكَ أجنوناً هذا أمْ هوساً أخبرني بربّكَ... كفى...
بربِّ السّماءِ كفى يعذبُني عذابُ حُبّكَ
سأدعي لربّي أنْ يُكرمني بمعجزةٍ قريبةٍ لألتقي بكَ،
تَعالَت أصوَاتُ العِشقِ ولا صَوتَ يَعلُو فُوقَ صَوتِ حُبّنا، ومَا أنتَ يا قَمَري عَارفٌ ما يَحصُلُ بي مِن تَراتيلِ عَينَيكَ وحُمرةِ وجنَتَيكَ، خِضتُ مِغمارَ الحبِّ لأوّلِ مرّةٍ، رأيتُ الموتَ من خِلالِه، صَعدتُ إلى السّماءِ السّابعةِ أرجُو اللّه بأنْ يُخفّفَ عنّي عَذابَ ولوعَةَ حُبّي لكَ فَقلبِي لم يَعدْ بإمكَانِهُ الصّمودُ أكثَر، مَاذا أصنّفُ حُبّي مَعكَ؟ إنّني أذُوبُ عِشقاً بكَ وأتحمّلُ جِراحَ الهِيامِ لأجلِكَ، هِمتُ بكَ ولا أنتَ بَدارٍ يا حُبّي السّهلَ المُمتَنِع.

تَعالَ.. تعالَ لي واسمع دقّاتَ قَلبِي تَنطقُ اسمَكَ بِلهفةٍ في كلِّ الثّوانِي، تعالَ على بِساطِ الحُبِّ وسأفتَحُ حُضني مَلجأكَ في أيِّ زَمانٍ، تعالَ ولو أمكَنَ الأمرُ لأحضَرتُ لكَ الأفلاكَ بِحالِها فَقَطْ أنتَ تَعال..

كلُّ شَيءٍ يَتوقُ شَوقاً لكَ

أوقعني الحبُّ بكَ من أوّلِ نظرةَ،

أنا اشتَاقُ فِعلًا والشّوقُ نارٌ هزّتني، تعالَ لِي بِعناقٍ يُطفئُ لهِيبِي.. أو بِلمسَةٍ تُشعلُ حَريقِي،

إنّها الثّانيةُ بعدَ منتصفِ اللّيلِ لقد مرَّ الوقتُ وأنا أُفكّرُ بكَ

أجلسُ وحيدةً أتأمّلُ حياتِي و أتذمّرُ من مشاكلي الّتي لا تنتهي

أسرحُ في خيالي وأعاودُ ذكرياتِي ابتسم حينا وتذرفُ بعضُ الدّموعِ حيناً آخرَ مقيّدةً من جميعِ النّواحي ولا قدرةَ لي على المقاومة، انهضُ من سريري وأسيرُ في أنحاءِ المنزلِ والأهلِ نيامٌ ، أقتربُ من النّافذةِ أنظرُ للسّماءِ والنّجومُ واطلبُ أمنيةً

فعندما فتحتُ نافذتِي لأتنفّس دخلَ حُبكَ منها، وعندما أغلقتُها أخذتَ حُبكَ ورحلت،ولكن

سأظلُّ بجوارِ تلكَ النافذةِ دهراً ربّما تعود،

ربّما تأتِي بكَ الدُّنيا على شارعِنا ،فيشهدُ ربّي أنّني عشقتُكَ أكثرَ من عشقِ زليخةَ ليوسفِ قلبها، لم أهرمْ من المرضِ الجسديّ وإنّما من مرضِ الشّوقِ

،فأنّني أحملُكَ بداخلي كفكرةٍ لطيفةٍ أحتضنُها وأتحسسُها كلما غلبني شعورُ الشّوقِ لكَ،

على تلكَ النافذةِ وأمامَ شارعُنا الّذي يمتلؤهُ الحزنِ منتظرةً عودتَكَ لتملأَ زهوراً من الحُبِ بشارعِنا الحزين،

وأعودُ أدراجي للسّريرِ أُغمضُ عيناي وأغطُّ في نومٍ طويلٍ مملوءٍ بالأحلامِ المزعجةِ ثمَّ استيقظُ متهالكةً متعبةً، هكذا تمضي أيّامي بدونكَ

أقتربُتُ منكَ، لعلّ في قربي طعمٌ يُصلحُ لإنباتِ ورقةٍ خضراءَ تُثمرُ بينَ أصابعِكَ

تصفعُني بقبضةِ حزنِكَ وأسقطُ بسلاسةٍ ميتةٍ..

أيقنتُ أنّ محاولاتي أشبهُ بالموتِ البطيءِ، ومع هذا أُعيدُ الكرّة.

المعجزةُ الثّامنةُ هي حزنُهُ، وأنا فتاةٌ عنيدةٌ..

أكرهُ الاستسلامَ،

وأخافُ النّسيانَ

لذا، أجمعُ فِتاتَ جسدي للمرّةِ المائةِ

مستعينةً بنسيجِ عنكبوتٍ، لم يبقَ لي الكثيرُ من الفُرصِ، ولن يُبطئَ الوقتُ،

أدمنتُ سمومَ يأسِكَ منذُ شهور

كبديلٍ مساوٍ للموتِ ببراعة..

لكنّني لستُ حزينةً بأن أموتُ وأتجرّعُ هذه السّمومِ منكَ

واقعكَ الذي أصابكَ بهذا دمّركَ وأضعفكَ وأنا أُريدُ أن أُنبتَ تلكَ الورقةِ
الخضراءَ الجديدةَ في قلبكَ أُريدُ إعادتكَ بالوجهِ البشوشِ المتفائلِ دوماً
كنتَ تعطيني جرعاتَ الأملِ أيعقلُ أن تصبحَ هكذا!!
لا تكادُ عينيَّ تُصدِّقُ ما فعلهُ بكَ الزمنُ أكرهُ كلَّ شيءٍ جعلكَ في هذهِ الحالةِ
وعلى الرُّغمِ من ذلكَ لن أفقدَ الأملَ مهما أقفلتَ بابَ قلبكَ مهما أبعدكَ
الزمنُ والأيام مهما فعلتَ سأُحاوِلُ
ثمرةَ هذا الحُبِّ أن نلتقي وأن نكونَ سعداءاً مدى الحياة
أنا متيقِّنةٌ بذلكَ ولي ثقةٌ كبيرةٌ باللّه
لستُ واقِعةً بِحُبِّ وَجهِكَ فَقَط، بَل إنّني هائِمةُ العِشقِ بِكَ و بِكُلّ مَا يَخُصُّك،
مازالت عقاربُ السَّاعة
معزُوفَةً، إيقاعاً وَ لحَن
و جدارُ غُرفَتي الباهِتة
إني هُنا، لا أدري أيضًا كم من الأهوالِ ا قتحمتني
واطمئني، في كلِّ الجُدران،
وعلى الجُدران كُلّها، انطُبِعَ اسمي،
وحفظَتْ الجدرانُ شكلَ جُثَّتي الباردةِ
كُتبِي و أقلامي الفارغَة
الأوراقُ ترفضُ مدوّناتي
كما لو أنَّني وميضٌ عابرٌ

لربّما أصبحتُ زنزانةَ موتَى

برائحةِ الحياة

على الرّفوفِ شعرِي المتساقِط

هشّ رأسِي لا حيلةَ لهُ

يُصارعُ ما أنجبتهُ الذّكرياتُ

أمّا الأوراقُ...

و أمّا كتُبي و الدّفاترِ و أقلامي الفارغةُ

و أمّا عن احتدامِ ثوراتِ الجّسدِ

بي بكاءٌ كثيرٌ

ولا كتفَ هنا اتكئُ مفرغةً مُقلتاي عليهِ

بي صبرٌ كثيرٌ

وربُّ الملكوتِ وحدهُ يعلمُ تلكَ اللّيالي الحالكاتِ الّتي مرّت دونَ الحياة

بي شوقٌ كبيرٌ لكَ

بي شيءٌ مؤلمٌ

بي أنتَ،

رأيتُ ملامحكَ اليومَ في أحدِ المارّةِ

توسّعت ابتسامي وضاقَ قلبي

في عقلي كنتُ متأكّدةً أنّهُ ليس أنتَ

لبُعدكَ أولاً ولأنّي للأسفِ أحفظُ تفاصيلكَ جيداً

ولكن كانَ الشّبهُ فاضحٌ بينكُما وكأنّهُ جرمٌ... فكنتُ أنا الملومةُ والمُذنبةُ

نعم عاقبتُ نفسي دونَ إدراكٍ منّي

أكلتُ طريقي مُتخبّطةَ الدّواخلَ والظّواهرَ

نعم إنّهُ الشّوقُ يا عِرقَ الرُّوحِ الشّوقُ والنّدمُ وإنّهما لأشرسِ شعورانِ

يمُرّان بالمرءِ فيفتِلانِهِ دونَ رحمةٍ ولا شفقةٍ

تعثّرتُ خطواتي وبتُّ لا أُفرّقُ حينها بينَ النّاسِ والسّياراتِ حتّى كِدتُ

أُرهِسُ عدّةَ مرّاتٍ دونَ مبالاةٍ ظناً منّي أنّي أرتطمُ بأحدِ العابرينَ ولا

اكترثُ فتسحبُني يدُ صديقتي لتحمي جسدي

وكأنّ كلَّ ما في هذهِ الدُّنيا يُعاقبُني عقاباً أبديّاً ليسَ لهُ ختامٌ...

لم استيقظ منذُ البارحةِ مازالَ قلبي نائماً في حُلمِكَ ومُخدّراً عقلي...

أنّني فتاةٌ تقتلُها التّفاصيلُ،

بلا أحدانٍ مشوّقةٍ،

بارعةً في صُنعِ أشياءَ ناقصةً،

أحبُّ البكاءَ،وأخافُ الجلوسَ في الظّلامِ،

أنا قهوةٌ منزوعةٌ من السّكرِ،

أحبُّ شعورَ الامتلاكِ، بأن امتلكَ حُبكَ مثلاً،

كم أحبُّ عصرَ الرّسائلِ الورقيّةِ، ليتَهُ يعودُ

مغرمةٌ أنا بمراقبةِ تلكَ الخطوطِ والتّعاريجِ عن كثبٍ، اللّهفةُ الواضحةُ في رسمِ الحروفِ على عجلٍ، وأستطيعُ أن أتخيّلَ تلكَ السّطورِ التّي تعانقُ الكلماتِ الحزينةِ.

كَ طيفُكَ الّذي يُعانقُ فؤاديَ في كلِّ ليلةٍ تمكثُ بظلامِها فوقَ صدري المُتعبُ.

أردتُ أن أكتبَ لكَ رِسالةً طويلةً كَ الّتي أرسلتَها يوماً لي،
ولكنّ تعجزُ الكلماتُ عن التّعبيرِ،
فَ مازلتُ لا أرى إلا وجهُكَ رغمَ مرورَ الأشهر..
وجهكَ المُنتَشرُ على مَلامحِ كُلَّ العابرينَ لا يَكّفُ عن مُلاحقتي..
قلبي عُلّقَ باللّقاءِ الآخيرِ وعينايّ أُغمِضَتْ لنْ ترى شيئاً بَعدكَ
وكأنّ الحُبَّ حُرّمَ عليَّ في غيابِكَ..
مرَّ على بَهجتي الآخيرةُ فترةً طويلةً وبعدَها حلَّ الظّلامُ على روحي.. منذُ مدّةٍ وقلبي لمْ يبتَهِجُ
منذُ مدّةٍ وقلبي لمْ يُحلّق منذُ زمنٍ ولمْ تلتقي أعيُنا!!
أعرفُ إنّ الطّريقَ إليكَ باتَ صعباً لكنّني أحنّ وهذهِ إحدى هزائمي وسأصلُ إليكَ مهما مُلِئتُ بالأشواكِ والصّعابِ
بُترَت قواي لمْ أستطعْ تحمُّل ألمُ الأشتياقِ
دعيتُ نسيانَكَ لعلّي أنساك و يختفي صوتُكَ من ذاكرتي صوتُكَ الّذي كانَ يُعانقُني!!
لكنّ في كُلِّ مرّةٍ ألقاكَ كنتَ تظهرُ في عينايّ وتُزهرُ من بينَ ملامحي..
أخبرتُكَ ياعزيزي محاولاتي ستبوءُ بالفشلِ دائماً
يقولونَ أن لم تستطع نزعَ أحدٍ من قلبِكَ إنّهُ في مكانهِ الصّحيحِ إذاً أنت في مكانِكَ الصّحيح
مازلتُ مصابةٌ بكَ وقلبي مُتيمٌ بعيناك..

ما زالَ قلبي ينبضُ حُباً عندما يراكَ ويُزهرُ ألفَ عامٍ..

مازلتُ أُحبُّكَ رغمَ طولِ المسافات

أصبحتَ بعيداً بسببِ ظروفِكَ

وضعتَ سلاحَكَ على ظهرِكَ وكأنّهُ جبلٌ ثقيلٌ عليكَ

تركتَ أرواحاً كثيرةً تُحبكَ كثيراً

ودعواتُ أمّكَ الحنونُ وجميعُ أحبّائكَ ودعواتي التي تُرافقكَ دائماً ودموعي التي انهمرت كثيراً عندما علمتُ بهذا الخبر

دموعي التي تنهمرُ كلَّ يومٍ على وجنتيّ فتحرقُهما وتبللُّ وسادَتي

أعدُّ الأيامَ بالسّاعاتِ والثّواني لتنتهي

أتعلم ياعزيزي ليسَ لديّ مانعٌ بالانتظارِ لأنَّ انتظاري لشخص مثلكَ هو أجملُ شيءٍ سأفعلُهُ في حياتي حتّى أنَّ يديَّ تربطَت لستُ قادرةً عن التّعبيرِ والكتابة

في كلِّ لحظةٍ أدعو لكَ يا خيرَ عمري

لم تُفارقه ذاكرتي أبداً

انتظرُكَ وكُلّي شوقٌ أن تعودَ بسلامةٍ وأن نكونَ معاً

أُريدُ أن نكونَ معاً ونتعافى سوياً بدلاً من كلٍّ منّا على حِدا يواجهُ ألمهُ لوحدِهِ

مثلاً

أنتَ تأتي إليّ وأنا أفتحُ ذراعيّ لكَ تتمثلُ جميعَ الألمِ وتمسحُ دمعتي وأنا أعدُكَ أنّني لن أحزنَ أبداً بوجودِكَ جانبي

أُخفّفُ وحدتِكَ وصعابِكَ وإن مِلتَ سأسندُكَ

وانتشلُ أيضاً أحزانكَ بمدامعي وأُقبّلُ جبينَكَ

لنكونَ البلسمَ الشّافي لبعضنا

على جميعِ الأحوالِ سنلتقي فلماذا نهدِرُ هذا الوقتَ بالبُعدِ والألم

أعدُكَ الآنَ أن يبقى قلبي لكَ مهما حصل

أعرفُ أنّكَ خائفٌ من هذهِ الفكرِ لكن واللّه ياعزيزي

قلبي لن ينبُضَ سِوى بإسمكَ

اشتاقُه لساعاتِ اللّيلِ الّتي كنتُ اقضيها بمحادثاتِكَ

لسهرِنا الطّويلِ وأحاديثِنا التي لا تنتهي أشتاقُه لخوفِكَ علي ولحنيتَكَ

لكن!!

على الرُّغمِ من كلِّ ذلكَ كُنتَ الأجملَ والأحنّ والأرقّ أنتَ محفورٌ في جوفِ قلبي

أعلمُ أنّكَ بعد أن تقرأَ ستمرُّ حباً وتزيحَ الهمَّ عنّي وتُفرّحُني

وأخيراً ...

إنّني منتظرةٌ عودتِكَ بفارغِ الصّبرِ

في غياهِب اللّاوعي بِتُّ أُلملمُ أشلاءَ روحي المتعبة
وأُكفكفُ دموعَ الأسى الحارقةِ بشهقاتي المدويّةِ،
فيظهرُ البُهتانَ واضحاً عليَّ
أيا مُعذبي البعيد
ما الّذي أبقاكَ مختبئاً بينَ ثنايا قلبي
طالَ غيابُكَ عن دروبِ عشقي وذبُلت أزهارُ ابتهاجي
أخبرتُكَ أنّكَ خصلةٌ عميقةٌ جداً قد زُرعتَ في أعماقِ جسدي حتّى تمكّنتَ من
قلبي كُنتَ خصلةً تنثرُ معها لمعةً عاشقةً ترشُّ غُبارَ الهيامِ المجنونِ
معكَ فقط تعلّمتَ كيفَ تكونُ النّظرةُ كعناقٍ
أن تحتويني بهذهِ الهالةِ الخفيّةِ و تضمّني بذراعينِ من نورٍ
عجيبٌ هو أمرُ حُبّي لكَ
تألّمُ أنتَ وأشعرُ بالوجعِ بقلبي أنا
تكتمُ أنفاسَكَ فأختنقُ أنا
تبكي أنتَ فتدمعُ عيناي أنا
تبتسمُ أنتَ فأفرحُ أنا
أشعرُ بكَ رُغمَ بُعدِكَ تتخاطرُ قلوبنا رغمَ البُعدِ قلبكَ يُخبرُ قلبي بأنّكَ تُحبُّني
كثيراً وأنا أثقُ بهذا الحدسِ
أرجوكَ أعطني إشارةً واحدةً منكَ أو بريقَ أملٍ لأُكملَ حياتي بسعادةٍ لستُ
أطلبُ الكثيرَ مِنكَ

سأبقى بانتظارِكَ على جميعِ الأحوالِ زرّةَ أملٍ صغيرةٍ قد تُداوي جراحي
أتخيّلُ كلَّ يومٍ اللّحظةَ الأولى الّتي سأعيشُها بعدَ هذا الأمل و تحقيقِ حُلمي
بقربِكَ والصّباحُ الأوّلُ الّذي سأقضيهِ وفي جُعبَتي سعادةٌ كبيرةٌ تملأ الأرجاءَ
أتخيّلُ طعمَ الإفطارِ ورائحةَ الصّباحِ ولونَ البهجةِ المنعكسةِ في عيوني أمامَ
المرآةِ وشكلُ ابتسامتي الحقيقيةِ أُريدُ أن أعيشَ معكَ براحةٍ وسلام
لو لم أكُن أُحبُّكَ لما فعلتَ بي هذا أيعقلُ لأنّكَ تُحبُّني أرسلَ قلبكَ أشعاراتاً
لقلبي وبدأَ بحبِّكَ أعطني هذا الأملَ لأعيشَ بخيرٍ فلا خيرَ لي ببُعدكَ أدعو
اللّه في كُلِّ يومٍ أن يحفظكَ جعلتُكَ في ودائعهِ الّتي لا تنتهي أدعو اللّه
كثيراً أن تعودَ بخيرٍ
انتظرُ هذا الأملَ وكُلّي يقينٌ أنّكَ لن تُخيّبَني هذهِ المرّةَ
وأعلمُ أنّكَ تُحبُّني مهما انكرتَ ذلكَ.
عيناكَ الّتي تنهمرُ منهما الحبّةُ هما السّببَ في التآم جروحي
كم انتظرُ ذلكَ الوقتَ 11:11 لأتمنّى أن أراكَ وأن تعودَ
سانتظرُ وانتظر ولو كلّفني الانتظارُ بقيّةَ حياتي كُلّها

كم انتظرتُ يومَ ميلادكَ لأخبركَ الكثيرَ من الأشياءِ،
كلّ ماكتبتهُ لكَ قليلٌ جداً لا يكفيكَ وصفاً ولا مدحاً لأنني
عشقتكَ لِدرجةِ الجُنون ، وأحببتُكَ حُبَّ المفتُون
وقلبي مسجورٌ بالذّكرياتِ،
وثغري لا يتوقفُ عن الحديثِ بكَ
أشجانُ الهُيامُ تتأجّجُ
والغرامُ السّرمديُّ يقتِلُ،
وأنا الضائعة في حُبك،
مُدَّ يدكَ لي في هذا اليومِ المميز،
وأنا أعدكَ أنّني لن أفرطَ بها أبداً
سأحُبّكَ لآخر رمقٍ وسأظلُّ أكتب لكَ دائماً إلى أن تمسكَ يدي
أسألُ الله أن يحميك ويرعاكَ بلطفهِ وحنانهِ
جعلتكَ في دعائهِ دائماً لاتخف أريدكَ أن تبقى قوياً وصبوراً كما عهدتكَ
إلى حينِ عودَتكَ من غربتكَ بخيرٍ يا فلذةَ كبدي
أصبحنا الآن على بُعد لقاء.

في مثلِ هذا اليومِ...
تذرفُ السّماءُ دموعَ اللّؤلؤِ لفارقتِها أحد ملائكتها لتتناثر حباتُ المطرِ على التّرابِ وتمتزجُ بها فينبعثُ منها عطراً شهياً يعمُّ في الأرجاءِ تطايرُ الفراشاتُ حاملةً معها رحيقَ الأزهارِ، والطيورِ تأتي بخيوطِ الشمسِ وبعض سنابلِ القمحِ والقليلِ من البُنّ مع سوادِ اللّيلِ..
ها هيَ آخرُ ورقةٍ تسقطُ من تلكَ الشجرةِ لتُخبرنا قد حانَ الوقتُ،
فتشتدُّ الرياحُ والموجُ يضربُ الرمالَ لتخرُجَ تلكَ الصدفةُ من قاعِ البحرِ لتكوّنَ طفلاً صغيراً داخلَها يُدعى "طفلُ الحُبِّ"
تطرقُ الشّمسُ في لحظتِها على ذلكَ الصّغيرِ لتستأذنَهُ من النومِ لقد حانتِ اللّحظةُ حانَ وقتُ شروقكَ حسبِ توقيتِ ابتسامتكَ الأولى،
الآن لقد عمّت السّعادةُ في الأرجاءِ ..
فكلُّ عامٍ في هذا التّوقيتِ هو عامٌ للخيرِ والسعادةِ
"طفلُ السّعادةِ"
سأتذكرُ اليومُ كلَّ المعاني والكلماتِ التي أسعدتني معكَ في الماضي...
أصبحتَ الآنَ تُؤذيني وتُؤلمني
سأخبرُكَ...
كلُّ يومٍ رغمَ البُعدِ وأنتَ لا تزالُ داخلَ قلبي
أُضمّدُ لكَ جراحي بهديةٍ ألفُّها كما تُلفُّ الهدايا مع حروفي المبعثرةُ وورودٍ ذابلةٍ سأعطيهنَّ إلى ذاكَ الطّيفِ الذي لم يُفارقني منذُ رحيلكَ،

أيعقلُ أن يكونَ مصدرهُ أنتَ
ففي كلّ حركةٍ منهُ أشعرُ بكَ
أجلسُ منتظرةً شغافَ الأملِ أو لربما لمعةٌ منهُ تكفيني
بضعٌ من الأمل للُقياكَ،
أتمنى أن لا تخذُلني الحياةَ وأن نكونَ معاً بالعامِ المُقبل
رُبما افترقنا ولكن يصعبُ عليَّ أن أنسى يومَ ميلادِكَ
وأيضاً لن أنسى أنّي احتفلُ بهِ وأنا أنظرُ لعينيّ وهي مليئةٌ بالدموعِ
إنّني منتظرةً عودتكَ بفارغِ الصّبرِ قريباً وأعلمُ أنّكَ ستعود.
محبّتي لكَ..

الخارطةُ خدعةٌ...

أنتَ في قلبي...

حتماً سنلتقي...

أُحبّكَ

ويصدأُ الانتظارْ...
وَتبقى أنتَ بِكاملِ
غيابكَ تلمعُ يانجمي.
للكاتبة : فرح معروف